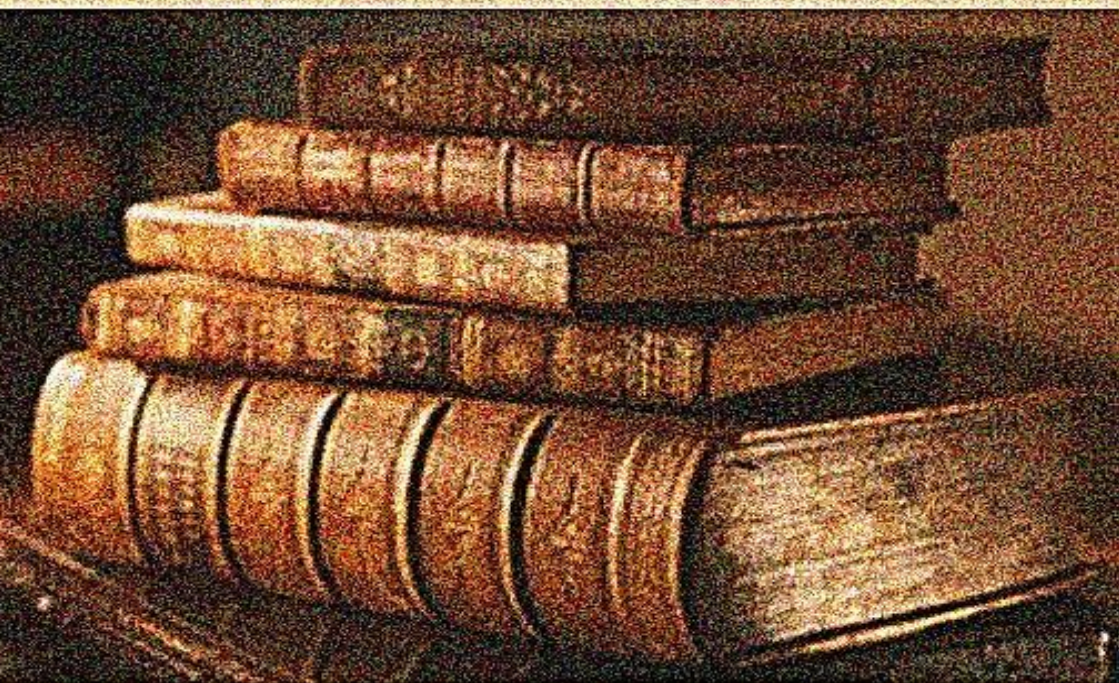


دراسات

الخطاب النحوي القديم وصف وتحليل

الدكتور خالد نعيم الشناوي



المشرق للطباعة والنشر والتوزيع

الكتاب: الخطاب النحوي القديم وصف وتحليل

المؤلف: أ.د. خالد نعيم الشناوي

الناشر: دار المشرق

للطباعة والنشر والتوزيع

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية (٣٤٠٣) لسنة ٢٠٢١م

ISBN: 775-3-916288-57-8

دار المشرق

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو الترجمة ، فإنه لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من المؤلف.

All rights reserved, with the exception of quoting short paragraphs For the purpose of criticism or translation, no part may be reproduced From this book, store it in the retrieval system, or transmit it in any Method without prior.permissionfrom the author

الطبعة الأولى

٢٠٢١

المقدمة

إنّ دراسة الخطاب على اساس النمط الخطابي وما يستدعيه من مقارنة تُعنى بدراسته ووصفه في إطار اطروحة الخاص للخاص (*) أو الاطروحة التي عمّمت خصائص خطاب معين على خطابات تتسم بخصائص متباينة، التي تعرف بـ "أطروحة الخاص للعام"، جعلت منا أن ننعم النظر والبحث عن نظرية تهتم بخصائص الخطاب النحوي وتحليله، وهذا الامر يتطلب اعادة قراءة التراث اللغوي العربي وربط الصلة بينه وبين امتداداته اللسانية الحديثة.

فالخطاب النحوي خطابٌ وصفيّ تابعٌ لبنيةٍ خطابيةٍ نموذجيةٍ موحدةٍ وثابتةٍ من حيث الآلية التي اشتغل عليها القدماء، وخطابٌ علميٌّ من حيث الموضوع الذي تشكل فيه، بوصفه خطاباً تعليمياً، وفي هذه الحال ترصدُ نظريةُ الخطابِ العامِ هذه، قدرة مستعمل اللغة على انتاج وتأويل الخطاب باعتبار أنّ هذه القدرة الخطابية جزءٌ من القدرة اللغوية العامة. ومن هنا جاءت فكرة تصنيف هذا الكتاب الذي تمثل بموضوعات وثيقة الصلة بالخطاب النحوي المكتوب وتشكله وبيان حدوده بوصفه فعلاً قولياً مبسوطاً ومختصراً، وعناصره وإشارات تلك العناصر فيه، والوقوف على ذواته التي اسهمت في نتاجه

قال احمد التوكل: ((يذهب الدارسون المتبنون لأطروحة الخاص للخاص الى أن كل نمط خطابي يستدعي مقارنة تخصه دون غيره، الى أن لكل نمط خطابي نظريته القائمة الذات... للخطاب لأدبي نظرية سيميائية ونظرية شعرية ولخطاب السريدي نظرية سردية او السرديات وللخطاب الحجاجي نظرية الحجاج...)) الخطاب وخصائص اللغة: ٢٧

وطبيعة هذه النوات من حيث الحقيقة والانتزاع، فضلا عن ممارسات الذات الحوارية (التخطائية) مع الآخر وما يصاحبها من ردود افعال وحقّة أو على غير ذلك من التأدب وحسن الخلق. ثم النظر في موضوعة الحجاج (المناظرة) بوصفها مجموعة خطابات وليس خطاباً بعينه، فكل خطاب منها له بنيتة اللغوية وقواعده الخاصة التي تضبط سلوك طرفي المناظرة. والحجاج في الخطاب النحوي قائم على مواقف ظنية تصاحب مقولات أو منشئ الخطاب، وتكون في ذهنه ، إذ يتصور ردود أفعال المخاطب، ولا بد للمحلل اللغوي من أن يقبض على تلك المواقف من خلال تلمس اشاراتها اللغوية عند طرفي الخطاب.

أسأل الله تعالى ان ينفع القارئ بما جاء في هذا الكتاب من طروحات لغوية عليها تسهم في صياغة شكل وانماط الخطاب النحوي والعمل على تحليلها.

أ.د.خالد نعيم الشناوي

العراق / البصرة

٢٠ / صفر / ١٤٤٢

الفصل الاول

تشكل الخطاب النحوي وتحليله

إنَّ الباحثِ عن مفهوم الخطابِ وماهيته وابتناقه في الدرس اللساني سيجد مضامينه ابتداءً في ثنائية دي سوسير " اللغة والكلام"، لأنَّ الكلامَ عنده حدثٌ فردي متصل بالأداء أو بالقدرة الذاتية للمتكلم، وهذه السمة الرئيسة من سمات الخطاب، وهذا يعد الاصل الاول فيه، اما الاصل الاخر فكان النظر الى ما يتولد من علاقة بين العناصر اللغوية المكونة للبنية نتيجة حركتها داخل لغة الاستعمال، ومن هنا تشكلت فرضية تسعى الى توسيع الخطاب " باعتباره وحدةً لسانيةً استناداً الى إمكان تمييط الخطابات، والى ما اتفق على تسميته بنحو النص أو نحو الخطاب، ويرتبط مشروع نحو الخطاب ارتباطاً مباشراً بفرضية وجود وحدة أعلى من الجملة، وهي الخطاب التي يكون شأنه في ذلك شأن الجملة، لها تركيب خاص بها، ويفترض نحو الخطاب على غرار ما يفترضه التركيب في اللسانيات التوليدية وجود قواعد إعادة الكتابة، ويميز بين القدرة الخطابية والانجاز الخطابي على غرار التميز الذي اقامه شومسكي بين القدرة والانجاز"^(١)

فوصفهم للخطاب بأنه وحدةٌ لسانية تتجاوز الجملة قائم على معيار الكم أي عدد العناصر اللغوية التي يتشكل منها الخطاب و الجملة.

و مفهوم الجملة عندي على غير ما قاله النحويون واللسانيون، وسأقف عنده بعد النظر في الوحدات اللغوية الموازية للخطاب، علماً أنَّ الخطاب النحوي خاصة قائمٌ على شبكة من تلك الوحدات اللغوية الطبقية التي يمكن وصفها على النحو ما من "منطوقات (اصوات) ومفردات (الفاظ دالة) و عبارات (تفسيرية) و(جملة) مجموعة كلمات ذات

(١) ينظر تداولية الخطاب من تأويل اللفوظ الى تأويل الخطاب: ٢٧

دلالة) و نصوص لغوية ومقولات " وهذه الوحدات تسهم في وصفه للغة الاستعمال، و مبني على التعامل الافتراضي كونه مجموعة من المبادلات الحاصلة بين ذوات الخطاب، أذ يُشكل سلسلةً من تلك المبادلات التوجيهية والاحبارية.

وتفسيرنا للوحدات اللغوية الطبقية أننا نجد أنّ بعضها قد تجاوز الحد الذي اختطّه بعض من قال في وصفها، فالعبارة نصّ يفسر ما كان غامضاً مبهماً من القول، أو كلامٌ قد سبق لبيان حجة ما، ونحن في هذا الوصف يتسع مفهوم العبارة التي يراها بعضنا مرادفاً أو مساوياً للجملة، وفي الأعم الأغلب يكون مجاوزاً لها. والجملة أصل التركيب لأنها نتاج صناعة لفظية، أي جمع للألفاظ وتحصيلها بصورة يحسن القول فيها والسكوت عنها، وهي أصل للعبارة، والقول هو المنطوق " الكلام " قلّ أو كثر، فالعبارة قولٌ والجملة قولٌ والمفردة " اللفظ " قولٌ، ولا بد أن نشير هنا الى أنّ القول يكون مقصوداً وغير مقصود، وسنبين ذلك بعد النظر في مفهوم الخطاب في الدرس اللساني الغربي والعربي.

لا شك أنّ وجود وحدة لسانية أكبر تتجاوز الوحدات اللغوية الطبقية ⁽¹⁾ من حيث مكوناتها اللغوية التي تشكلت منها، تستدعي النظر في بواعثها والأصل الذي انبثقت عنه، لذلك قيل إنّ ملامح تشكل الخطاب تعود الى أصليين متناقضين هما البنيوية والنحوي التوليدي، ومن هنا تمّدد دي سوسير الى استغلال النص الأدبي بوصفه نظاماً لغوياً خاصاً، وهو في هذه الحال افصح عن أولى ملامح تشكل الخطاب بمفهوم النص الأدبي.

(١) تتمثل هذه الوحدات بـ الفونيم على المستوى الصوتي و المورفيم على المستوى الصرفي و الجملة على المستوى النحوي التركيبي

و اللكسيم على المستوى الدلالي والمعجمي.

فالجملة الفاظ يحددها المتكلم ويتشكل منها الكلام، الذي يُعبر عنه بالقول وهو الحديث أي الاخبار فأنك تأتي بالفاظ لم يكن لها موقع مثل الذي قيلت فيه، والتواصل بين طرفيه يكون احدهما متكلماً والاخر مستمعاً، وفي هذه الحال عندما تؤشر على تناوب طرفي الخطاب نلاحظ مفهوم العبارة في إرادة التوجيه أي حينما يتبادل المتحاوران مواقعهما الخطائية " مخاطب و مخاطب " ، أي القول " الكلام " الموجه من المخاطب الى المخاطب والعكس.

ويرى هرمان أنّ الخطاب يقع خارج الثنائيات التقليدية في النظرية اللسانية ك: ثنائية اللغة والكلام أو القدرة والانجاز أو النسق⁽¹⁾ والاعمال، وعليه لم يقدم اللسانيون البنيويون " دي سوسير و يامسلف و جومسكي " مفهوما اجرائيا للخطاب⁽²⁾ وفي السياق نفسه قيل أن دي سوسير قد لاحظ اثناء مناقشته وتحليله منزلة المركب قال " يوجد هاهنا في الواقع شيء ما عويص يتعلق بالحد الفاصل بين مجالات اللغة والكلام، فالحد الفاصل بين اللغة والكلام هو درجة التأليف"⁽³⁾ وهو بذلك جعل من الخطاب حدا ثالثا وظيفته نقض الثنائيات.

١) والنسق هو ما يتولد عن تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية الا أن لهذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه.

٢) ينظر الخطاب لهرمان باري: ٨٧

٣) المصدر نفسه: ٨٧

وإذا ما عدنا الى ما نقله هرمان وغيره من قبل في أنّ الكلامَ فرديٌّ ولا يمكن ضبطه و أن تحدد له قواعد، لذلك أبعد عن الدراسة، نقول إنّ الكلام ليس فردياً بوصفه قولاً تشارك فيه ذوات كثيرة تكون مسؤولة عن الاغراض الكلامية التي يحملها هذا القول الذي تمثلت فيه ذاتية المتكلم والنوات المصاحبة لها في فعل التلفظ وكل واحدة منها تقوم بوظيفة خطائية مخصوصة^(١)، وأنّ حقيقته ((لا تقوم في مجرد النطق بالألفاظ مرتبة على مقتضى مدلولات محددة وإنما حقيقته كامنة في كونه ينبني على قصدتين اثنتين : احدهما يتعلق بـ " التوجه الى الغير " والثاني بـ " إفهام هذا الغير "))^(٢).

والخطاب عند فوكو^(٣) هو الميدان العام لمجموع من المنطوقات و في ذلك إحالة الى السياق العام، أو مجموعة مميزة من المنطوقات، وهذا يقودنا الى النظر بطبيعة المفوظ وخصائصه اللغوية، أو هو ممارسة لها قواعد تدل دلالة الوصف على عدد من المنطوقات وتشير اليها، وهذا يعني ثمة ضوابط ممسكة بهذا السيل من المنطوقات أي أن الخطاب يستجيب مثله مثل الجملة لقواعد صحة التأليف، ومثلما توجد قدرة لغوية مرتبطة بالإلمام بالتركيب توجد قدرة خطائية متصلة بالإلمام بنحو الخطاب^(٤) وفي حد اخر للخطاب يقول: " مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمي الى ذات التشكيكية الخطائية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر الى ما لا

١ (ينظر اللسان والميزان : ٢٨ .

٢ (اللسان والميزان : ٢١٣ - ٢١٤ .

٣ (ينظر الخطاب - بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو " دراسة ومعجم " : ٧٨

٤ (ينظر تداولية الخطاب من تأويل المفوظ الى تأويل الخطاب : ٣٠

نهاية، يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ ... بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحيد شروط وجودها" (١) ويرى آن روبل وجاك موشلار أن الخطاب متوالية غير اعتباطية من الملفوظات (٢) وتفسير ذلك عندهما " أن المتكلم الذي ينتج ملفوظا يقوم بحكم الواقع بفعل تواصلية إشاري استدلالي وأن هذا الفعل التواصلية الإشاري - الاستدلالي يفترض قصدين: هما قصد اخباري وقصد تواصلية يستلزم القصد التواصلية مبدأ الملاءمة.

وهذا القصدان يتعلقان بالملفوظ. وبشكل أدق، ويسعى المخاطب الذي يؤول ملفوظا معطى على اساس القصد التواصلية للمتكلم ومبدأ الملاءمة الذي يترتب عليه - القصد التواصلية - الى تحصيل القصد الاخباري للمتكلم" (٣) ويرى جيوفري ليتش و مايكل شورت الخطاب " تواصلأ لغويا" ينظر اليه باعتباره عملية تجري بين متكلم ومستمع أو تفاعلا شخصيا يحدد شكله غرضه الاجتماعي" (٤) وهذا ما ذهب اليه دومنيك مانفينو، إذ يرى أن الخطاب يقع ضمن التداوليات اللسانية لكونه يعنى بالعملية التواصلية وبالعلاقة التي تجمع بين طرفي الخطاب (المخاطب والمخاطب). ويعرف بنفنيست الخطاب ((بأنه قول يفترض متكلماً ومخاطباً، ويتضمن رغبة الأول بالتأثير في الثاني بشكل من الاشكال)) (٥)، والخطاب عنده من منظور الوعي

١ (الخطاب - بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو " دراسة ومعجم": ٧٨-٧٩.

٢ (تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ الى تأويل الخطاب: ٢١٨

٣ (تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ الى تأويل الخطاب: ٢١٩.

٤ (الخطاب لسارة ميلز: ١٥

٥ (معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيوتي، مكتبة ناشرون، دار النهار بيروت، الطبعة (١) لسنة ٢٠٠٢م: ٨٨

بالذات هو ما يتوجّه به شخصٌ الى شخصٍ اخر معبراً عن نفسه بضمير المتكلم^(١) تجربة تسهم فيها أطراف متعددة عن طريق التفاعل من اجل تحديد الادوار " المؤلف الخطاب القارئ"، والاخير يسعى الى تحليل الخطاب من اجل الوصول الى اقصى حد ممكن من المقروئية وقوفا على البنى التي اسهمت في هذا الانتاج الفكري التواصلي^(٢).

والخطاب في المفهوم اللساني المعاصر يراد به القول، أو الوحدة اللسانية التي تتجاوز الجملة التي تدرسها اللسانيات انطلاقاً من قواعد تسلسل الجمل والمتتاليات^(٣) وفي هذا السياق نجد للخطاب خصائص ومعايير أو سمات خطائية ومعرفية تميزه عن غيره ك الجملة والعبارة والنص، كونه يخضع من خلال وحداته اللغوية للقواعد التنظيمية المعمول بها داخل مجتمع محدد، زيادة على ذلك أنّه يتسم بالتوجيه لأنّه موجهاً، وهذا الامر لا يعني أنّ الخطاب قد شكّل تبعاً لوجهة نظر المتكلم وانما شاركت به ذوات كثير، وهذا ما يجعله يتطور بشكل خطي في الزمان^(٤)، والتوجيه من المقاصد الخطائية والمعرفية، إذ يرى طه عبد الرحمن ((أنّ المنطوق به لا يكون كلاماً حقا حتى تحصل من الناطق إرادة توجيهيه الى غيره، وما لم تحصل منه هذه الارادة ، فلا يمكن أن يُعد متكلماً حقا حتى ولو صادف ما نطق به حضور من يتلقفه، لأن

(١) ينظر المصدر نفسه: ٨٨

(٢) ينظر تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة، محمد عزام ، دمشق- ٢٠٠٣ : ١٨٨

(٣) ينظر تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة: ٨٩

(٤) ينظر المصدر نفسه: ٣٩.

الملتقّف لا يكون مستمعاً حقاً حتى يكون قد أُلقي إليه بما تلقف مقصوداً بضمونه هو أو مقصوداً به غيره بوصفه واسطة فيه.))^(١)

أما إرادة إفهام الغي أو الآخر فما تتحصل من المخاطب، ولا يكون المنطوق به كلاماً حتى تحصل من المخاطب إرادة إفهام الآخر، والامر في هذا المقصد منوط بالمخاطب لأنه لا يكون مستمعاً حتى يكون قد أفهم ما فهم^(٢).

ومن هنا يدرك القارئ أنّ الخطاب قائم على علاقات تخاطبية بين طرفين، لكن يقال أنّ هذه العلاقة بين النوات المنتجة للخطاب قد يسعى احد طرفيها الى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد، ولذلك يقول طه عبد الرحمن ((لا يكون الخطاب حقاً، حتى يحصل من الناطق صريح الاعتقاد لما يقول من نفسه وتام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، ذلك لأن الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق اما ناقلاً لقول غيره، فلا يلزمه اعتقاده، واما كاذباً في قوله، فيكون عابثاً باعتقاد غيره، ولان الخلو عن الاستعداد للتدليل، يجعل الناطق، اما متحكماً بقوله، فلا يتوسل الا بسُلطان واما مؤمناً بقول غيره، فلا يحتاج الى برهان))^(٣) وهذا ما يعرف بقصد الادعاء، اما قصد الاعتراض فيقوم على حق المخاطب في مطالبة الناطق (المخاطب) بالدليل على ما يدعيه، لأنّ ترفع المخاطب عن هذا الحق يجعله دائم التسليم بما يدعه المخاطب وفي هذه الحال لا تجد سبيلاً لتمحيص دعاويه، أو المشاركة في مدار الكلام^(٤) ونلاحظ في

١ (اللسان والميزان : ٢١٤)

٢ (ينظر اللسان والميزان : ٢١٤ .

٣ (اللسان والميزان : ٢٢٥ .

٤ (ينظر اللسان والميزان : ٢٢٥)

هذين القصدين فاعلية المخاطب وفي هذا المعنى ننقل قول ابن القيم الجوزية : ((لما كان المخاطب مشاركا للمتكلم في حال معنى الكلام إذ الكلام مبدؤه من المتكلم ومنتهاه عند المخاطب ولولا المخاطب ما كان كلام المتكلم لفظا مسموعاً ولا احتاج إلى التعبير عنه))^(١)

ومن مقاصد الخطاب الفعل والتأثير والتفاعلية ، ف "فعل" شكل من أشكال التأثير، اما التفاعلية فهي نشاط لفظي بين طرفي الخطاب، والخطاب بمقاصده الخطائية والمعرفية محكوم بسياق، فلا وجود للخطاب الا داخل سياق معين. ويتسم الخطاب النحوي الذي نسعى الى بيانه بالتنظيم المنهجي وطرائق وصف لغة الاستعمال، زيادة على ذلك تنوع صوره من خلال تفسيره وتأويله والاستدلال عليه . ومثل ذلك ما وجدناه عند ابن السراج في اصوله حينما قدم للقارئ خطابه النحوي التعليمي الذي اتسم بالتنظيم والتفسير والاستدلال إذ قال ((المشبه بالفاعل على ضربين: ضرب منه ارتفع "بكان وأخواتها" وضرب آخر ارتفع بحروف شبيهت "بكان" والفعل، وأخوات "كان": صار، وأصبح، وأمسى، ظل، وأضحى، وما دام، وما زال، وليس، وما أشبه ذلك مما يجيء عبارة عن الزمان فقط وما كان في معناهن مما لفظه لفظ الفعل وتصاريفه تصاريف الفعل، تقول: كان، ويكون، وسيكون، وكانن، فشبهوها بالفعل لذلك، فأما مفارقتها للفعل الحقيقي فإن الفعل الحقيقي يدل على معنى

١ (بدائع الفوائد - ابن القيم الجوزية لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ : ١٨٦ / ١.

وزمان نحو قولك: ضرب يدل على ما مضى من الزمان وعلى الضرب الواقع فيه "وكان" إنما يدل على ما مضى من الزمان فقط "ويكون" تدل على ما أنت فيه من الزمان وعلى ما يأتي، فهي تدل على زمان فقط، فأدخلوها على المبتدأ وخبره، فرفعوا بها ما كان مبتدأً تشبيهاً بالفاعل و نصبوا بها الخبر تشبيهاً بالمفعول فقالوا: كان عبد الله أخاك، كما قالوا: ضرب عبد الله أخاك، إلا أن المفعول في "كان" لا بد من أن يكون هو الفاعل، لأن أصله المبتدأ وخبره، كما كان خبر المبتدأ لا بد من أن يكون هو المبتدأ فإذا قالوا "كان زيد قائماً" فإنما معناه: زيد قام فيما مضى من الزمان، فإذا قالوا: أصبح عبد الله منطلقاً، فإنما المعنى: أتى الصباح وعبد الله منطلق، فهذا تشبيه لفظي، وكثيراً ما يعملون الشيء عمل الشيء إذا أشبهه في اللفظ وإن لم يكن مثله في المعنى وسترى ذلك إن شاء الله، فقد بان شبه "كان وأخواتها" بالفعل إذ كنت تقول: كان يكون، وأصبح يصبح وأضحى، ويضحى ودام يدوم، وزال يزال، فأما ليس، فالدليل على أنها فعل وإن كانت لا تتصرف تصرف الفعل قولك: لست، كما تقول: ضربت ولستما كضربتما، ولسنا، كضربنا ولسن، كضربين ولستن، كضربتين، وليسوا، كضربوا، وليست أمة الله ذاهبة كقولك: ضربت أمة الله زيداً.))^(١).

نلاحظ عباراته التوجيهية " "ويكون" تدل على ما أنت فيه من الزمان وعلى ما يأتي، فهي تدل على زمان فقط" وهناك تمة لهذا الحكم وقوله : " فإذا قالوا: أصبح عبد الله منطلقاً، فإنما المعنى: أتى الصباح وعبد الله منطلق، فهذا تشبيه لفظي، وكثيراً ما

يعملون الشيء عمل الشيء إذا أشبهه في اللفظ وإن لم يكن مثله في المعنى وسترى ذلك إن شاء الله .

ونلاحظ التنظيم نفسه في كتاب سيبويه من خلال المقابلة بين علامات الاعراب ومواقع هذه العلامات التي تصورها بعض من لا يفهم العربية انها على الحال التي قيلت فيها ، قال سيبويه ((هذا باب مجارى أواخر الكلم من العربية وهي تجري على ثمانية مجارٍ: على النصب والجَرِّ والرفع والجزم، والفتح والضَمّ والكسر والوقف. وهذه المجارى الثمانية يجمعهنّ في اللفظ أربعةً أُضرب: فالنصب والفتح في اللفظ ضربٌ واحد، والجَرِّ والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضَمّ، والجزم والوقف. وإِثْمًا ذَكَرْتُ لك ثمانية مجارٍ لأُفرِّقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحدثُ فيه العامل - وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه - وبين ما يُثبِتُ عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدثَ ذلك فيه من العوامل، التي لكلّ منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرفُ حرف الإعراب. فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب. وحروفُ الإعراب للأسماء المتمكّنة، وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: الهمزة، والتاء، والياء، والنون. وذلك قولك: أفعلُ أنا، وتفعل أنتُ أو هي، ويفعل هو، وتفعل نحن. والنصب في الأسماء: رأيت زيداً، والجر:

مررت بزید، والرفع: هذا زيدٌ. وليس في الأسماء جزم، لتمكنها وللحاق التنوين، فإذا ذهب التنوين لم يجمعوا على الاسم ذهابه وذهاب الحركة)).^(١)

فعبارة التي يقول فيها " وإنا ذكرنا لك ثمانية مجاز لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل... " هنا وجه الخطاب لك ويريد أن يعلمك مواقع هذه المجازي من الكلم مع دخول العوامل اللفظية او المعنوية.

ومن الأشياء التي يتمثل فيها الخطاب النحوي الافتقار الى ردود الافعال، اي أننا لم نلاحظ اي ردود من المخاطب او المخاطب بعد تبادل الادوار الحوارية، وسبب ذلك منشئ الحوار أو الخطاب النحوي بتوجه الخطاب الى ذوات افتراضية منتزعة من ذات المخاطب نفسه، أو ما يعبر عنه بعض الباحثين بـ "المخاطب الكوني"، أي أنّ هذا الخطاب موجه الى من له القدرة والكفاية اللغوية والتواصلية مع الخطاب النحوي وتفسيره.

يقول ابن السراج في باب التمييز: ((تقول: زيد أفضل منك أبا، فالفضل في الأصل للأب كأنك قلت: زيد يفضل أبوه أباك، ثم نقلت الفضل إلى زيد وجئت بالأب مفسراً، ولك أن تؤخر "منك" فتقول: زيد أفضل أبا منك، وإن حذف "منك"، وجئت بعد أفضل بشيء يصلح أن يكون مفسراً، فإن كان هو الأول فأضف أفضل إليه، واخفضه، وإن كان غيره فانصبه واضمره نحو قولك: علمك أحسن علم تخفض "علماً"، لأنك تريد: أحسن العلوم وهو بعضها، وتقول: زيد أحسن علماً تريد: أحسن

منك علماً فالعلم غير زيد فلم تجز إضافته وإذا قلت: أنت أفره عبد في الناس فإنما معناه: أنت أحد هؤلاء العبيد الذين فضلتمهم.))⁽¹⁾ فالخطاب الافتراضي في هذا النص تمثل في ما اسند من الضمائر التي تشي بوجوده غير المنفعل "كأنك قلت - ثم نقلت - ولك ان تؤخر - تقول - جئت - اخفضه - انصبه - انك تريد..." وإذا ما وقفنا ازاء عبارة "لأنك تريد" نلاحظ للمخاطب الافتراضي أو الكوني سلطة تقويم وقبول القواعد النحوية وهذه السلطة هي سلطة المخاطب نفسه، لأننا لو ذهبنا التي المخاطب "مجموعة المتلقين" وتحديد مقاماتهم لا نجدهم على المستوى الذي تمثل به المخاطب الافتراضي الاول من فهم للنصوص والقواعد النحوية.

وفي جميع ذلك نجد الخطاب النحوي المكتوب يفتقر الى ردود الافعال أي أنك لم تجد من يقف بالضد مما يقولهاو يقدمه النحوي أو ما روي عنه من مسائل لغوية (صوتية - صرفية - نحوية) لأننا في هذه الحال ننظر في خطابات لغوية مكتوبة وطبيعة هذه الخطابات المكتوبة لا تسمح بتدوين ردود الافعال حتى وإن كانت مصاحبة لفظ التلطف قبل ان يتحول الى مدونة لغوية، وإذا ما وجدنا شيئاً منها انما هو يجري على لسان المخاطب نفسه كقول البرد: في: هَذَا بَابُ الْعَدَدِ وَتَفْسِيرُهُ وَجُوهُهُ وَالْعَلَّةُ فِيمَا وَقَعَ مِنْهُ مُخْتَلَفًا: ((اعلم أنك إذا ثبت الواحد لحقته زائدتان الأولى مِنْهُمَا حرف اللين وَالْمَدُّ وَهِيَ الْأَلْفُ فِي الرَّفْعِ وَالْيَاءُ فِي الْجَزِّ وَالتَّصْبِيبِ وَالزَّائِدَةُ الثَّانِيَةُ الثُّنُونُ وَحَرَكَتُهَا الْكَسْرُ وَكَانَ حَقًّا أَنْ تَكُونَ سَاكِنَةً وَلَكِنَّهَا حَرَكَتْ لِاتِّمَاءِ السَّاكِنِينَ وَكَسْرَتْ عَلَى

حَقِيقَةٌ مَا يَتَّع فِي السَّاكِنِينَ إِذَا التَّمِيَا وَذَلِكَ قَوْلُكَ هُمَا الْمُسْلِمَانِ وَرَأَيْتَ الْمُسْلِمِينَ فَأَمَّا سَبِيئِيهِ فَيَزْعُمُ أَنَّ الْأَلْفَ حَرْفَ الْإِعْرَابِ وَكَذَلِكَ الْإِنْيَاءُ فِي الْخَفْضِ وَالنَّصْبِ وَكَانَ الْجَزْمِيُّ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَلْفَ حَرْفَ الْإِعْرَابِ كَمَا قَالَ سَبِيئِيهِ وَكَانَ يَزْعُمُ أَنَّ إِهْلَابَهَا هُوَ الْإِعْرَابُ وَكَانَ غَيْرَهَا يَزْعُمُ أَنَّ الْأَلْفَ وَالْإِنْيَاءَ هُمَا الْإِعْرَابُ فَإِذَا قِيلَ لَهُ فَأَيْنَ حَرْفَ الْإِعْرَابِ قَالَ إِنَّمَا يَكُونُ الْإِعْرَابُ فِي الْحَرْفِ إِذَا كَانَ حَرَكَةً فَأَمَّا إِذَا كَانَ حَرْفًا قَامَ بِنَفْسِهِ وَالْقَوْلُ الَّذِي نَخْتَارُهُ وَنَزَعْنَا أَنَّهُ لَا يَجُوزُ غَيْرُهُ قَوْلُ أَبِي الْاِحْسَنِ الْأَخْفَشِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَلْفَ إِنْ كَانَتْ حَرْفَ إِعْرَابٍ فَيَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا إِعْرَابٌ هُوَ غَيْرَهَا كَمَا كَانَ فِي النَّالِ مِنْ زَيْدٍ وَتَحْوَاهَا وَلَكِنَهَا دَلِيلٌ عَلَى الْإِعْرَابِ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ حَرْفَ إِعْرَابٍ وَلَا إِعْرَابٍ فِيهِ وَلَا يَكُونُ إِعْرَابٌ إِلَّا فِي حَرْفٍ وَيُقَالُ لِأَبِي عَمْرٍ إِذَا زَعَمْتَ أَنَّ الْأَلْفَ حَرْفَ إِعْرَابٍ وَأَنَّ إِهْلَابَهَا هُوَ الْإِعْرَابُ فَقَدْ لَزِمَكَ فِي ذَلِكَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْإِعْرَابَ مَعْنَى وَلَيْسَ بِلَفْظٍ فَهَذَا خِلَافٌ مَا أُعْطِيَتْهُ فِي الْوَاحِدِ وَالشَّيْءِ الْآخِرُ أَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ أَوَّلَ أَحْوَالِ الْإِسْمِ الرَّفْعُ فَأَوَّلُ مَا وَقَعَتْ التَّثْنِيَّةُ وَقَعَتْ وَالْأَلْفُ فِيهَا فَقَدْ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ إِعْرَابٌ لِأَنَّهُ لَا انْقِلَابَ مَعَهَا)).^(١)

ويمكننا القول إنَّ الخطاب النحوي يفتقر الى تناوب الادوار على وجه الحقيقية، لذلك يلجئ النحوي الى الانتزاع الناتي ليبقي على تلك المبادلات التي تسهم في تفسير المقولات اللغوية قال ابن السراج : ((قال أبو عثمان المازني: قولُ الأخفش في "معيشة" "معوشة" تركُّ لقوله في "مبيع ومكيل" وقياسه على "مكيل ومبيع"

"مَعِيشَةٌ" لَأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّهُ حِينَ أَلْقَى حَرَكَةً عَيْنٍ "مَفْعُولٍ" عَلَى الْفَاءِ انضَمَّتِ الْفَاءُ ثُمَّ أُبْدِلَتْ مَكَانَ الضَّمَّةِ كَسْرَةً لِأَنَّ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ وَكَذَلِكَ يَلْزُمُهُ فِي "مَعِيشَةٍ" وَالْإِرْجَعُ إِلَى قَوْلِ الْخَلِيلِ فِي "مَبِيعٍ" وَذَكَرَ لِي عَنِ الْفَرَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "مَوْوَنَةٌ مِنَ الْإَيْنِ" وَهُوَ التَّعَبُ وَالشَّدَّةُ فَكَانَ الْمَعْنَى: أَنَّهُ عَظِيمُ التَّعَبِ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى مَنْ يُعُولُ)) هُنَا يَلْتَبَسُ خَطَابُ الْإِخْفَشِ مَعَ خَطَابِ ابْنِ السَّرَاجِ وَرَاوِيهِ ابْنِ عَثْمَانَ فِي قَوْلِهِ "تَرَكَ لِقَوْلِهِ" "لِأَنَّهُ زَعَمَ" "وَالْإِرْجَعُ إِلَى قَوْلِ الْخَلِيلِ" وَفِي هَذَا النَّصِّ وَعَلَى مَسْتَوَاهِ الْعَلَانِيَةِ تَغِيْبُ مَا يَعْرِفُ بِالنَّقْلَةِ، الَّتِي تُفَسِّرُ عَلَى أَنَّهَا مَدَاخِلَةٌ أَحَدَ الْمُشَارِكِينَ بِوَصْفِهَا مَجْمُوعَةٌ أَعْمَالٍ خَطَابِيَّةٍ.^(١)

لَا شَكَّ أَنَّ النَّظْرَ فِي حَدِّ الْخَطَابِ وَمَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَعْضُ اللَّسَانِيِّينَ الْغَرِيبِينَ وَالْعَرَبِ، لَا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ إِمَامٌ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَفْهُومِهِ تَبَعًا لِنَوْعٍ أَوْ صَنْفٍ الْخَطَابِ وَنَحْنُ هُنَا لَا نَجْتَزُّ الْكَلَامَ نَفْسَهُ فِي بَيَانِ حُدُودِ الْخَطَابِ وَنَجْعَلُ مِنْهُ مَرَادِفًا لِمَصْطَلَحِ الْخَطَابِ النَّحْوِيِّ، لِذَلِكَ ذَهَبْنَا إِلَى حَدِّ الْخَطَابِ النَّحْوِيِّ وَبَيَانِ سِمَاتِهِ وَمَا يُمَيِّزُهُ عَنِ الْغَيْرِ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَطَابَاتِ فِي مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ التَّوْصِيفُ لِلْخَطَابِ النَّحْوِيِّ هُوَ كُلُّ فِعْلٍ قَوْلِيٍّ عَنِ طَرِيقِ الْفَمِّ وَالْإِذْنِ صَدَرَ عَنْ ذَوَاتٍ عَاقِلَةٍ نَاقِلَةٍ لِمَا تَكَلَّمَ بِهِ مُسْتَعْمِلُ اللُّغَةِ، مُقْلِبَةً وَجْوهَهُ حَكْمًا وَعَمَلًا أَوْ هُوَ كُلُّ فِعْلٍ كِتَابِيٍّ عَنِ طَرِيقِ الْيَدِ وَالْعَيْنِ، انْتَجَزَ مِنْ ذَوَاتٍ عَاقِلَةٍ نَاقِلَةٍ لِمَا تَكَلَّمَ بِهِ مُسْتَعْمِلُ اللُّغَةِ وَجَعَلْتَهُ ظَاهِرًا مَرْتَبًا مَبْسُوطًا وَمَخْتَصِرًا، وَجَهَ إِلَى مُسْتَمِعٍ أَوْ قَارِئٍ لِعَرَضٍ أَمْرًا مَقْصُودًا مَخْصُوصًا.

فقولنا " فعل قولي" هو المنقول رواية عن العرب، وقولنا : " عن طريق الفم والاذن" هو فم المخاطب وسمعه بلحاظ " قال بعض العرب - قالوا - سمعت بعضهم - سمعنا من تثق بهم من العرب، وقولنا : " مُقلبة وجوه حكما وعملا" اي النظر في تصاريفه واحكامه، اما قولنا: " فعل كتابي" هو ما سُجِّل املاءً وكتابةً وتصنيفاً، وقولنا : "اليد والعين" بلحاظ ذات الخطاب التي صنفته ومثليته الذي سينظر فيه ، قال سيويوه : ((مما استجده في الكتاب إن شاء الله عز وجل)).^(١) وقوله ايضاً : ((وقد يَبَيِّنُ المفعولُ الذي هو بمنزلة الفاعل في أول الكتاب))^(٢) وقوله : ((وقد أوضحت في أول الكتاب بأكثر من هذا))^(٣) ، وفي كتاب الاصول في النحو ((قال أبو بكر: وقرأت بخط أبي العباس في كتابه: أخطأ الرياشي في قوله: مخافة الشر ونحوه))^(٤) وقال ابن جني: ((وأما ما تعقب به أبو العباس محمد بن يزيد كتاب سيويوه في المواضع التي سماها مسائل الغلط فقلما يلزم صاحب الكتاب منه إلا الشيء النزر. وهو أيضاً مع قلته من كلام غير أبي العباس. وحدثنا أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس أنه قال: إن هذا كتاب كنا عملناه في أوان الشيبية والحدائة واعتذر أبو العباس منه))^(٥) اما قولنا مبسوطا ومختصرا فهذا ما تمثل بخطاب المتقدمين من النحويين، قال المبرد في باب الفاعل : ((وسنضع من الصَّحَجِ المستقصاة

١ (الكتاب : ٢ / ٢٣٧

٢ (الكتاب : ١ / ٨٣

٣ (الكتاب : ٣ / ٢٢١

٤ (الاصول في النحو : ١ / ٢٠٩

٥ (الخصائص : ٣ / ٢٩٠

في مواضعها أكثر من هَذَا لِأَنَّ هَذَا مَوْضِعَ اخْتِصَارٍ وَتَوَطُّعَةٍ لَمَّا بَعْدَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ))^(١)
 وقال ابن السراج في كتابه الاصول : ((وغرضي في هذا الكتاب ذكر العلة التي إذا
 اطردت وصل بها إلى كلامهم فقط، وذكر الأصول والشائع؛ لأنه كتاب إيجاز.))^(٢)
 الخطاب النحوي خطاب مكتوب متصلٌ بسياقة معرب عن ذواته فهو سلوك
 تواصلٍ بين الذوات، قال ابن جني : ((وأُنشد رجل من أهل المدينة أبا عمرو بن
 العلاء قول ابن قيس الرقيات:

إِنِ الْحَوَادِثَ بِالْمَدِينَةِ قَدْ أَوْجَعَنِي وَقَرَعَن مَرُوتِيهِ

فاتهره أبو عمرو، فقال: ما لنا ولهذا الشعر الرخو! إن هذه الهاء لم توجد في شيء من
 الكلام إلا أرخته. فقال له المدني: قاتلك الله! ما أجملك بكلام العرب! قال الله عز
 وجل- في كتابه: ﴿مَا أَعْتَى عَتِي مَالِيَةَ هَلَكَ عَتِي سُلْطَانِيَةَ﴾ وقال: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ
 كِتَابِيَهُ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهُ﴾ فانكسر أبو عمرو انكسارًا شديدًا. قال أبو هفان: وأنشد
 هذا الشعر عبد الملك بن مروان، فقال: أحسنت يا ابن قيس، لولا أنك خنثت
 قافيته. فقال يا أمير المؤمنين ما عدوت قول الله عز وجل- في كتابه ﴿مَا أَعْتَى عَتِي
 مَالِيَةَ هَلَكَ عَتِي سُلْطَانِيَةَ﴾ فقال له عبد الملك: أنت في هذه أشعر منك في شعرك))^(٣)
 والخطاب النحوي خطاب مكرر قائم على التدوير وتتعاقب عليه ذوات كثر و
 يدوم طويلا. قال ابن جني : ((وسئل الكسائي في مجلس يونس عن أولقي: ما مثاله

١ (المقتضب : ١٤٧/١)

٢ (الاصول في النحو : ٣٦/١)

٣ (الخصائص : ٢٩٦/٣)

من الفعل؟ فقال: أفل. فقال له يونس: استحيت لك يا شيخ! والظاهر عندنا من أمر أولق أنه فوعل من قولهم: ألق الرجل، فهو مألوق؛ أنشد أبو زيد:

تراقب عيناها القطيع كأنما يخالطها من مسه مس أولق

وقد يجوز أن يكون: أفل من ولق يلق إذا خف وأسرع؛ قال:

جاءت به عنس من الشام تلق

أي تخف وتسرع، وهم يصفون الناقة -لسرعتها- بالحدة والجنون؛ قال القطامي:

يتبعن سامية العينين تحسبها مجنونة أو ترى ما لا ترى الإبل

والأولق: الجنون. ويجوز أيضًا أن يكون فوعلا من ولق هذه. وأصلها -على هذا ولق-. فلما التقت الواوَان في أول الكلمة همزوا الأولى منها، على العبرة في ذلك^(١) ومثله ما روي عن الزبيدي وصاعد بن الحسن : ((فقال الزبيدي فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب. قال فما وزن أولق؟ فضحك صاعدٌ وقال: أمثلي يسأل عن هذا؟ إنما يسأل عنه صبيان المكتب. فقال الزبيدي قد سألتك ولا نشك أنك تجهله، فتغير لونه، فقال: وزنه أفل. فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق. فقال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية؟ فقال له أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعنى وعلم الموسيقى...))^(٢)

(١) الخصائص : ٣ / ٢٩٤ - ٢٩٥

(٢) معجم اللبابة : ٣ / ٢١٠

ومثله تدوير خطاب سيبويه في المطولات النحوية قال سيبويه: ((وأما ما يرتفع من هذا الباب فتقولك: هو مَتَى فَرَسَخَانَ، وهو مَتَى عَدُوَّةُ الْقَرِيصِ، ودَعْوَةُ الرَّجُلِ، "وَعَلْوَةُ السَّهْمِ"، وهو مَتَى يَوْمَانِ، وهو مَتَى فَوْتُ الْيَدِ. فَإِنَّمَا فَارَقَ هَذَا الْبَابَ الْأَوَّلَ لِأَنَّ معنى هذا أنه يخبر أن بينه وبينه فرسخين ويومين، ودعوة الرجل، وفوتاً. ومعنى فوت اليد أنه يريد أن يقرب ما بينه وبينه. فهذا على هذا المعنى، وجرى على الكلام الأول، كأنه هو لسعة الكلام، كما قالوا: أَخْطَبُ ما يكون الأميرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ))^(١) وقال المبرد: ((وتقول فيما كَانَ من الْأَمَّاكِينِ مُرْسَلًا أَنْتَ مَنِي عَدُوَّةِ الْفَرَسِ وَأَنْتَ مَنِي دَعْوَةِ الرَّجُلِ لِأَنَّهُ أَرَادَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَلَمْ يردْ أَنْتَ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَإِنَّمَا يُنْبِئُ عَن هَذَا مَعْنَاهُ...))^(٢) و قال ابن السراج : ((قال سيبويه: أجرى مجرى: هو مني مكان كذا، ولكنه حذف. ودرج السيول ورجع أدراجه وقال: إنما يستعمل من هذا الباب ما استعملت العرب. وأما ما يرتفع من هذا الباب فتقولك: هو مني فرسخان وأنت مني يومان وميلان وأنت مني عدوة الفرس وعلوة السهم هذا كله مرفوع لا يجوز فيه إلا ذلك وإنما فصله من الباب الذي قبله أنك تريد: ههنا بيني وبينك فرسخان ولم ترد أنت في هذا المكان؛ لأن ذلك لا معنى له، فما كان في هذا المعنى فهذا مجراه نحو: أنت مني فوت اليد، ودعوة الرجل))^(٣) ، وقال ابن يعيش : ((الوجه الثاني أن يكون قوله: "أخطب ما يكون" بمعنى الزمان، لأن "ما" تكون بمعنى الزمان، لأنها في تأويل

١ (الكتاب: ٢ / ٤١٥)

٢ (المقضب : ١ / ٣٤٣)

٣ (الاصول في النحو: ١ / ٢٠٠)

المصدر، والمصدر يُستعار للزمان على تقدير حذف مضاف، كأنه قال: "أخطب أوقات كون الأمير"، كما يقال: "مقدم الحاج"، و"خفوق النجم"، أي: زمن مقدم الحاج، وزمن خفوق النجم. ويكون الخبر "إذا كان قائماً" على ما تقدم، إلا أن "إذا" على هذا في موضع رفع خبراً عن الأول، كما تقول: "وقت القتال يوم الجمعة". فكأنه قال: "أخطب الأوقات التي يكون الأمير فيها خطيباً إذا كان قائماً"،^(١) و قال ابو حيان الاندلسي : ((قالوا: هو مني فوت اليد، ودعوة رجل، وعدوة فرس بالرفع والنصب؛ النصب على المحل، والرفع على ضمار القدر، وقيل: هو على تقدير بيني، وبينه فوت اليدي كما قدر في هو مني فرسخان (أي بيني وبينه) هذه المسافة، فلا يكون فيه النصب، وإذا أردت بقولك مني في: (زيد مني) أي من أتباعي قلت: فرسخين بالنصب، وتقدير سيبويه ذلك بقوله: أنت مني ما دمت تسير فرسخين، وتقدير غيره: ما سرنا فرسخين، هو تفسير معنى، والناصب للظرف هو العامل في مني (أي كائن من اتباعي) في هذه المسافة.))^(٢)

(١) شرح المفصل: ١٠ / ٢٥٤

(٢) ارتشاف الضرب: ٣ / ١١٣٠-١١٣١

عناصر الخطاب النحوي

تنسم عناصر الخطاب النحوي بالتجدد في احوال المرسل والمرسل اليه و عناصر سياقه فضلا عن نظام وطرائق الكتابة وعرض المادة اللغوية وشكل الخطاب وقناته التي من خلالها يتم التواصل مع منشى الخطاب، ومن عناصر الاخطاب الاتي:
أولاً: المخاطب (المتكلم) هو فاعل يطلب الخطاب وجوده، وهو المتكلم^(١) وهو المسؤول عن فكرة الخطاب أي كانت، فهو من يخطط وينشئ أو يؤلف أو يكتب وهو في هذه الحال تكون له سلطة التأثير على المخاطبين، وهو من يقبل عليه الاخرون بوجههم، ويجتهد كثيرا لغرض تحقق هذا الاقبال، لأنه يصف ويفسر ويأتي بالنظير. ومن سمات المخاطب الاتي:

- ١-المخاطب شخص موثوق ومطاع في حقله اللغوي.
- ٢-المخاطب ذات منظمة للخطاب وموجهة له.
- ٣-له سلطة تفسيرية خاصة لا يمتلكها الا هو ومن هو بدرجة من اللغويين والنحويين.

- ٤-يمتلك سلطته التأويلية والتحليلية في الخطاب.
- ٥-يتسم المخاطب بالوعي والادراك لما يقول ويكتب.
- ٦-المخاطب اللغوي (النحوي) شخص موثوق به .

٧- قدرته على اسكات الاصوات جميعا ولا يصرح بمن شاركه من النوات.

٨- تعدد صورته في الخطاب الواحد .

٩- الخطاب اللغوي (النحوي) يشهد وبشكل مباشر على نسبة الخطاب المكتوب الى الاسم الذي يشير اليه.^(١)

والخطاب في الخطاب النحوي من الحضور والغيبة يقسم على قسمين:

الاول: الخطاب غير الواقعي الذي لا يتحدد بزمان أو مكان و هو نتاج الخطاب الصريح بلحاظ عائديه الاشارات اللغوية الى ذات الخطاب المسؤولة بشكل مباشر عن الخطاب وما يكون فيه من ذوات افتراضية تسمع وترى وتتكلم وهو في هذه الحال يعمل على تصوير حالته الافتراضية وحال الخطاب الافتراضي مثال ذلك قول سيبيويه: ((قلت: أرايت قولهم يا زيد الطويل علام نصبوا الطويل؟ قال: نُصِبَ لأنه صفةٌ لمنصوب. وقال: وإن شئت كان نصبا على أعني. فقلت: أرايت الرفع على أي شيء هو إذا قال يا زيد الطويل؟ قال: هو صفةٌ لمرفوع. قلت: ألسنت قد زعمت أن هذا المرفوع في موضع نصب، فلم لا يكون كقوله لقيته أمس الأحد؟ قال: من قبل أن كل اسم مفرد في النداء مرفوع أبدا، وليس كل اسم في موضع أمس يكون مجرورا، فلما اطرده الرفع في كل مفرد في النداء صار عندهم بمنزلة ما يرتفع بالابتداء أو بالفعل، ففعلوا وصفه إذا كان مفردا بمنزلة.

قلت: أفرأيت قول العرب كلهم:

أزيدُ أخوا ورقاء إن كنتَ ثائراً فقد عرَضتُ أحناءَ حقٍ فخاصم
 لأي شيء لم يجز فيه الرفع كما جاز في الطويل؟ قال: لأن المنادى إذا وُصف
 بالمضاف فهو بمنزلة إذا كان في موضعه، ولو جاز هذا لقلت يا أخونا، تريد أن تجعله
 في موضع المفرد؛ وهذا لحنٌ. فالمضاف إذا وُصف به المنادى فهو بمنزلة إذا ناديته لأنه
 هنا وُصفَ لمنادى في موضع نصبٍ، كما انتصب حيث كان منادى لأنه في موضع
 نصب، ولم يكن فيه ما كان في الطويل لطوله))^(١)

الثاني: المخاطب الواقعي الذي يتحدد في زمان ومكان معينين وهو المسؤول عن
 تنظيم وحدات الخطاب اللغوية وتوزيعها، وهو من تكون له القدرة في التحول من
 صفة السماع بوصفه متلقياً للخطاب في شكله الشفاهي إلى منتج للخطاب بشكله
 الكتابي ضاماً لمادته ومبوباً لأبوابه، ومسؤولاً عن قواعده الكتابية.

صور الخطاب:

و صور الخطاب من حيث العدد يقسم على قسمين:

أ- المتكلم - المرسل - المؤلف - المخبر - الملقى - المنشئ : وهو من يقدم إلى
 الخطاب مادة لغوية ، وهو في هذه الحال يعتمد كفايته اللغوية التي تكون كفيلاً
 بالقيام بتركيب الرسالة اللغوية تركيباً سليماً، فضلاً عن اعتماد الكفاية التخاطبية التي
 تتمثل باستعمال المقولات اللغوية بشكل مناسب ولتختلف السياقات.^(٢) وهذا ما

١ (الكتاب : ٢ / ١٨٤

٢ (ينظر المعنى وظلال المعنى: ١٥٣

يمثل بخطاب الشيخ جلال الدين السيوطي في كتابه همع الهوامع إذ قال : ((وبعد فإن لنا تأليفا في العَرَبِيَّة جمع أدناها وأقصاها وكتابا لم يُقَادِر من مسائلها صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِلَّا أَحْصَاهَا ومجموعا تشهد لفضله أُنْزَابُ الْفَضَائِلِ ومجموعا قصرت عَنْهُ جموع الأَوَاخِرِ والأَوَائِلِ حشدت فِيهِ مَا يقر الأَعْيُن ويشنف المسامع وأوردته مناهل كتب فاض عَلَيَّهَا همع الهوامع وجمعتهُ من نحو مائة مُصَنَّفٍ فَلَا غرور أن لقبته جمع الْجَوَامِعِ وقد كنت أريد أن أَضَعُ عَلَيْهِ شرحا وَاسِعًا كثير النقول طَوِيلَ الذبول جامعا للشواهد والتعاليل معنينا بالانتقاد للأدلة والأقاويل منها على الضوابط وَالنُّوَادِ والتقسيم والمقاصد فَرَأَيْتُ الزَّمَانَ أَضيق من ذَلِكَ ورغبة أهله قَلِيلَةٌ فيما هُنَاكَ مَعَ إلحاح الطلاب عَلَيَّ فِي شرح يرشدهم إِلَى مقاصده ويطلعهم على عَرَائِهِ وشوارده فنجزت لَهُمْ هَذِهِ العجالة الكافلة بِحُلِّ مبانيه وتوضيح مَعَانِيهِ وتفكيك نظامه وتعليل أَحْكَامِهِ مُسَمَّاةً بهمع الهوامع فِي شرح جمع الْجَوَامِعِ ... وَاللهُ أَسْأَلُ أن يبلغ بِهِ الْمَتَافِعِ ويجعلنا مِمَّنْ يسابق إِلَى الْخَيْرَاتِ ويسارع بمنه وَكِرْمِهِ))^(١)

ب- الجماعة الخطائية : يراد بها الزمر الاجتماعية التي تنتج وتيسر نوعا معينا من الخطابات ، وهذا ما يطلق على جماعة من المتلفظين للخطاب نفسه لا سيما الخطاب التعليمي^(٢) ، وقيل إن هذا المصطلح يطلق على المتلفظين بالخطاب نفسه لا سيما الخطاب العلمي^(٣) ومثال ذلك وصفهم للخطاب النحوي التعليمي في كتاب سيديويه،

١ (كتاب همع الهوامع : ١ / ١٩)

٢ (ينظر مانغونو، مصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب: ٢١)

٣ (ينظر مانغونو، مصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب: ٢٢)

قال القفطي ((وذكر ابن إسحاق النديم في كتابه قال: «قرأت بخط أبي العباس ثعلب: اجتمع على صنعة كتاب سيوييه اثنان وأربعون إنساناً؛ منهم سيوييه. والأصول والمسائل للخليل.))^(١) وفي موضع آخر نقل القفطي رواية تشي بما نريد اثبات صورة للمخاطب التي اسهمت في تشكل الخطاب النحوي، قيل: ((أخذ النحو عن الخليل بن أحمد الفرهودي الأزدي، ولازمه، وتلمذ له. وقد كان أخذ شيئاً من النحو عن عيسى بن عمر الثقفي وعن يونس، وأخذ عن غيرها. وأخذ اللغة عن أبي الخطاب الأخفش الكبير وغيره، وعمل كتابه المنسوب إليه في النحو، وهو مما لم يسبقه إليه أحد. وقد قيل إنه أخذ كتاب عيسى بن عمر المسمى بالجامع، وبسطه وحشى عليه من كلام الخليل وغيره، وأنه كان كتابه الذي اشتغل به، فلما استكمل بالبحث والتحشية نسب إليه. ويستدلّ القائل بهذه المقالة بما نقل أن سيوييه لما فارق عيسى بن عمر ولازم الخليل سأله الخليل عن مصنفات عيسى بن عمر، فقال له سيوييه: قد صنفت يثماً وسبعين مصنفاً في النحو، وأن بعض أهل اليسار جمعها وأتت عليها عنده آفة فذهبت، ولم يبق منها في الوجود سوى تصنيفين؛ أحدهما اسمه الكامل وهو بأرض فارس عند فلان، والجامع، وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه عليك وأسألك عن غوامضه. فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه، وقال: رحم الله عيسى! ثم أنشد ارتجالاً:

ذهب النحو جميعاً كلّه ... غير ما أحدث عيسى بن عمر

ذاك إكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقر
 فأشار إلى الإكمال بالإشارة إلى الغائب في قوله: «ذاك»، وأشار [إلى الجامع] بالإشارة
 إلى الحاضر بقوله: «وهذا»^(١)

٢- المخاطب: هو العنصر الثاني في الخطاب، وشريك المخاطب في تواصله اللغوي
 وله يتوجه الخطاب ومن خلاله تعرف رود الافعال والتأويلات والتفسيرات
 وحضوره مماثل لحضور المخاطب إن لم يكن أكثر، لان قبول الخطاب يتوقف على
 درجة افهامه سواء أكان محاطباً واقعياً ام افتراضياً.

اما صور المخاطب في الخطاب النحوي فكثيرة إذ جعلوا له الكثير من صور المشاهد
 الحركية المصاحبة للافتراضات القولية والمخاطب في هذه الحال لا يمكن حصره وعده
 أي أنه غير قابل للعد والحصر في الخطاب النحوي. قال سيويوه : ((ولو رأيت ناساً
 ينظرون الهلال وأنت منهم بعيدٌ فكبروا لقلت: الهلال ربّ الكعبة، أي أبصروا
 الهلال))^(٢) ومثله في " باب يكون المبتدأ فيه مُضمرًا " قال سيويوه ويكون المبنى
 عليه مظهرًا وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص
 فقلت: عبد الله وربّي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله. أو سمعت
 صوتاً فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربّي. أو
 مسست جسداً أو شممت ريحاً فقلت: زيد، أو المسك. أو ذقت طعاماً فقلت:

١ (كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢/ ٣٤٦-٣٤٧

٢ (الكتاب : ١ / ٢٥٧

العسل. ولو حُدِّثَ عن شمائل رجلٍ فصار آية لك على معرفته لقلت: عبد الله. كأن رجلاً قال: مررتُ برجلٍ راحمٍ للمساكينِ بآبٍ بوالديه، فقلت: فلان والله...^(١) و تتفاوت درجة قرب المخاطب من المخاطب، فيكون قريباً منه مكانياً وزمانية أي أنه في المكان والزمان نفسه ويفعل المشاهدة كشيوخ سيبويه ومجايليه من العلماء ، ويكون قريباً منه قرباً معنوياً افتراضياً بلحاظ ذاتية المخاطب و الاشارات التي تحيل اليه من المشاهدة والرؤية والقول والسمع. ويكون بعيداً عن زمانياً ومكانية أي في الزمن المنظور اليه مستقبلاً. ومهما تعدد صور المخاطب لا بد له ان يمتلك ذاكرة لغوية تسمح له بالمقارنة والمقابلة بين النصوص والعمل على الفصل بينها بما ينسجم واصل الوضع لها.

٣- السياق

نسعى في تحليل الخطاب الى ربط الملفوظات بسياقاتها في الاعم الاغلب والاحاطة بالخطاب بوصفه نشاطاً غير مفصول عن هذا السياق^(٢) ، الذي يراد به البيئة الكلامية والسياقات الاجتماعية التي يرد فيه الخطاب، ويرى الدكتور مهدي الخجزي حضور حال المخاطب وتكون ملحوظة ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول^(٣) ، لان الامر في ذا ينظر اليه من خلال تعاقب الادوار التي يؤديها المشاركون في الخطاب، وهؤلاء المشاركون يتوزعون بين المخاطبين والمخاطبين

١ (الكتاب : ٢ / ١٣٠)

٢ (ينظر مصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب : ٢٧)

٣ (في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٢٥)

وهم من مكونات السياق فضلا عن المكان والزمان والغاية ونوع الخطاب وقناته التواصلية فضلا عن اللغة او اللهجة المستعملة والقواعد التي تحكم تداول الخطاب^(١). ويرى مقانونو إن السياق ليس جهازا يمكن للملاحظ الخارجي الاحاطة به، بل يجب النظر اليه عبر التصورات التي يتصورها المشاركون ومن الممكن ان نحدد كيفية دراسة السياق داخل الخطاب النحوي على النحو الآتي:

أتحليل الادوار التي يؤديها المشاركون داخل الخطاب.

مثال على ذلك "مجلس علي بن حمزة الكسائي مع المفضل بحضرة الرشيد، روى الزجاجي أن ابا العباس احمد بن يحيى قال: ((روي عن أبي عمرو الشيباني أنه قال: أخبرنا المفضل قال: جاءني رسول الرشيد يوم خميس بكرة فقال لي: أجب. فدخلت عليه ومحمد عن يمينه، والمأمون عن يساره، والكسائي بين يديه باركا، وهو يطرح محمدا والمأمون معاني القرآن، فسلمت فردّ وقال: اجلس. فجلست فقال لي: كم اسم في سيكفيكهم الله؟ قلت: ثلاثة أسماء يا أمير المؤمنين، أولا اسم الله تبارك وتعالى لا إله إلا هو، والثاني اسم النبي صلى الله عليه وسلم، والثالث اسم الكفرة، فالياء والكاف المتصلتان بالسين لله جل عز، والياء والكاف المتصلتان بالهاء للنبي لله، والهاء والميم للكفرة. فقال: كذا أخبرنا الشيخ. وأشار بيده إلى الكسائي، والتفت إلى محمد، فقال له: أفهمت؟ فقال: قد فهمت يا أمير المؤمنين. قال: فأردد ذلك علي، فردّه فقال: أحسنت! ثم روى بصره إلي فقال: من يقول:

(١) ينظر مصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب: ٢٨

فلق هاماً لم تنله سيوفنا ... بأسيافنا هام الملوك القهائم
 فقلت: الفرزدق يا أمير المؤمنين. قال: فما أراد بذلك؟ ثم قال: لا، ولكن فلق هاماً لم
 تنله سيوفنا فيما زعم. قلت: هذا لفظ مدغم يستتر فيه صواب معناه على التقديم
 والتأخير، وذلك أنه قال: فلق بأسيافنا هام الملوك القهائم، ثم رجع فقال: ها من لم تنله
 سيوفنا، على التنبيه والتعجب. قال: صدقت، عندك مسألة. قلت: نعم يا أمير
 المؤمنين. قال: قال الفرزدق:

أخذنا بأفاق السماء عليكم ... لنا قراها والنجوم الطوالع
 قال: قد أفدنا هذا متقدماً من هذا الشيخ علي بن حمزة. القمران: الشمس والقمر،
 كما قالوا في العمريين، يريدون أبا بكر وعمر. قلت: أزيد يا أمير المؤمنين في السؤال؟
 قال: زد. قلت: فلم استحقوا هذا بعد؟ ولم قالوا ذلك؟ قال: لأن من شأن العرب إذا
 اجتمع شيطان من جنس واحد فكان أحدهما أشهر سمي الآخر باسمه. ولما كان القمر
 أشهر عند العرب وأكثر في أوقات المشاهد، وتدركه ليلاً ونهاراً، سما الشمس
 باسمه. وهي القصة في تسميتها أبا بكر عمر؛ إذ كانت خلافة عمر أكثر وأشهر في
 الإسلام للفتوح وطول المدة. قلت: بقي مع هذا زيادة يا أمير المؤمنين. قال: لا
 أعرفها. ثم التفت إلى الكسائي فقال: أتعرف في هذا أكثر من الذي سمعت؟ قال: لا
 يا أمير المؤمنين، هذا الذي هو معروف المعنى عند العرب. قال المفضل: فأمسك
 عني قليلاً كالمستعمل فيه الفكرة ثم نظر إلي وقال: أعندك فيه زيادة؟ قلت: نعم يا
 أمير المؤمنين، وهي فضيلة المعنى والغاية التي جرى إليها، ولولا ذلك ما كان بأولى
 بالشمس والقمر والنجوم من غيره، ولا يفخر فيه بما حظ غيره كحظه، الشمس

هاهنا إبراهيم الخليل عليه السلام، والقمر النبي صلى الله عليه وسلم، والنجوم أنت يا أمير المؤمنين، وآباؤك من الخلفاء المهديين. فتهلل سرورا ثم قال: أغريت على الرجل محسنا. ثم رفع رأسه فقال: يا فضل. قال: لبيك يا أميري المؤمنين. قال: تحمل إلى منزله الساعة عشرة آلاف درهم، وائذن لمن حضر الباب من الشعراء. ثم وضع لي كرسي وللكسائي كرسي، وأشار إلينا، فجلس كل واحد منا على كرسيه.^(١)

ب- النظر في المكان الذي تأسس فيه الخطاب واثره فيه، مثال ذلك مجلس سيويوه مع الكسائي وأصحابه بحضرة الرشيد قال الزجاجي: ((حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى، وأبو العباس محمد بن يزيد وغيرها قال أحمد: حدثني سلمة قال: قال الفراء: قدم سيويوه على البرامكة، فعزم يحيى على الجمع بينه وبين الكسائي فجعل لذلك يوما، فلما حضر تقدمت والأحمر فدخلنا، فإذا بمثال في صدر المجلس فقعد عليه يحيى، وقعد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيويوه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة أجاب فيها سيويوه، فقال له: أخطأت. ثم سأله عن ثانية فأجابه فيها، فقال له: أخطأت. ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها فقال له: أخطأت. فقال له سيويوه: هذا سوء أدب!

قال: فأقبلت عليه فقلت: إن في هذا الرجل حدا وعجالة، ولكن ما تقول فين قال: هؤلاء أبون، ومررت بأبين، كيف تقول مثال ذلك من وأيت أو أويت. قال: فقدر فأخطأ. فقلت: أعد النظر فيه. فقدر

فأخطأ. فقلت: أعد النظر، ثلاث مرات، يجيب ولا يصيب. قال: فلما كثر ذلك قال: لست ألكمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره. قال: فحضر الكسائي فأقبل على سيويوه فقال: تسألني أو أسألك؟ فقال: لا، بل سألني أنت. فأقبل عليه الكسائي فقال له: ما تقول أو كيف تقول: قد كنت أظن أن العقب أشد لسعة من الزنور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيويوه: فإذا هو هي. ولا يجوز النصب. فقال له الكسائي: لحت. ثم سأله عن مسائل من هذا النوع: خرجت فإذا عبد الله القائم، أو القائم؟ فقال سيويوه في كل ذلك بالرفع دون النصب. فقال الكسائي: ليس هذا كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب. فدفع سيويوه قوله، فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأتما رئيسا بلديكما فمن ذا يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هذه العرب ببابك، قد جمعتم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع، وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم أهل المصريين، وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم، فيحضرون ويسألون. فقال يحيى وجعفر: لقد أنصفت. وأمر بإحضارهم، فدخلوا وفيهم أبو فقيس، وأبو زياد، وأبو الجراح، وأبو ثروان، فاستلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيويوه، فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله. قال: فأقبل يحيى على سيويوه فقال له: قد تسمع أيها الرجل. قال: فاستكان سيويوه، وأقبل الكسائي على يحيى فقال: أصلىح الله الوزير، إنه قد وفد عليك من بلده مؤثلاً، فإن رأيت ألا ترده خائباً. فأمر

له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصير وجهه إلى فارس، فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى البصرة))^(١).

ت- النظر في الزمان وسيرورة الخطاب فيه وما مدى الحاجة الى هذا الخطاب في تلك الحقبة، مثال على ذلك النظر في بدايات علم النحو، قال ابو الاسود الدؤلي: ((دخلت على أمير المؤمنين عليّ- عليه السلام- فرأيتَه مطرقاً مفكراً؛ فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت ببلدكم لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية. فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا « هذه اللغة العربية، ثم أتيتَه بعد أيام فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. الكلام كله اسم وفعل وحرف؛ فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل.

ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك. واعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر؛ وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر. فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إن، وأن، وليت، ولعل، وكان. ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بلى هي منها، فزدها فيها.))^(٢)

(١) مجالس العلماء : ٩- ١٠

(٢) كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة : ١ / ٣٩

ث- الغاية من هذا الخطاب على مختلف المراحل التي مر بها .

نجد ابن خلدون يبين لنا الغاية من الخطاب النحوي وعلى مختلف المراحل التي مر بها ، ومن خلال ذلك يمكن لنا النظر فيها خطاباً خطاباً لبيان غاياتها وما انتهت إليه ، قال ابن خلدون : ((فلما جاء الإسلام وفاقوا الحجاز لطلب الملك الذي كان في أيدي الأمم والتول وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمستعربين . والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها لجنوحها إليه باعتماد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها فينغلق القرآن والحديث على المفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب والمبتدأ مرفوع. ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا وتسمية الموجب لذلك التغير عاملا وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيّدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة.

واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال بإشارة علي رضي الله عنه لأنه رأى تغير الملكة فأشار عليه بحفظها ففرغ إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرأة. ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد وكان الناس أحوج ما كان الناس إليها لذهاب تلك الملكة من العرب. فهذب الصناعة وكمل أبوابها. وأخذها عنه سيبويه فكمّل تفاريعها واستكثر من فيها كتابه المشهور الذي صار إماما لكل ما كتب فيها من

بعده. ثم وضع أبو عليّ الفارسيّ وأبو القاسم الزّجاج كتباً مختصرة للمتعلمين يحذون فيها حذو الإمام في كتابه. ثم طال الكلام في هذه الصّناعة وحدث الخلاف بين أهلها في الكوفة والبصرة المصريين القديمين للعرب. وكثرت الأدلّة والحجاج بينهم وتباينت الطّرق في التّعليم وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في تلك القواعد وطال ذلك على المتعلّمين. وجاء المتأخّرون بمذاهبهم في الاختصار فاختصروا كثيراً من ذلك الطّول مع استيعابهم لجميع ما نزل كما فعله ابن مالك في كتاب التّسهيل وأمثاله أو اقتصرهم على المبادئ للمتعلمين، كما فعله الزّمخشرّي في المفصل وابن الحاجب في المقدّمة له. وربّما نظّموا ذلك نظماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصّغرى وابن معطي في الأرجوزة الألفيّة. وبالجملة فالتّكليف في هذا الفنّ أكثر من أن تحصي أو يحاط بها وطرق التّعليم فيها مختلفة فطريقة المتقدّمين مغايرة لطريقة المتأخّرين. والكوفيّون والبصريّون والبغداديّون والأندلسيّون مختلفة طرقهم كذلك. وقد كادت هذه الصّناعة تؤذن بالذهاب لما رأينا من التّقص في سائر العلوم والصّنائع بتناقص العمران ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدّين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملّة ومفضّلة. وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل وحذف ما في الصّناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها وسماه بالمغني في الإعراب. وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم سائرهما فوقفنا منه على علم جمّ يشهد بعلوّ قدره في هذه الصّناعة ووفور بضاعته منها وكأنّه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الدّين اقتفوا

أثر ابن جنيّ واتبعوا مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوة ملكته وإطلاعه. والله يزيد في الخلق ما يشاء))^(١).

٤- الرسالة هي المحتوى اللغوي أو ما يعرف بالمدونة النحوية، وينظر للرسالة بوصفها عنصراً من عناصر الخطاب كونها حدثاً كلامياً و موضوعاً لغوياً (هذا مرتبط بشكل الخطاب) وستفرد فصلاً للحديث عن سمات الخطاب المكتوبة الذي تمثل بهذا المحتوى.

٥- القناة أداة التوصيل فعلى مر العصور نجد الخطاب النحوي ينقل عن طريق التدوين باعتماد ما كان مصنفاً من قبل، ونلاحظ ذلك جلياً في مقدمة ابن اجني في كتابه الخصائص حيث قال: ((وذلك أنا لم نر أحدًا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقهاء. فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يلم فيه بما نحن عليه، إلا حرفاً أو حرفين في أولهن وقد تعلق عليه به. وستقول في معناه. على أن أبا الحسن قد كان صنف في شيء من المقاييس كتبها، إذا أنت قرنته بكتابنا هذا علمت بذلك أنا بننا عنه فيه، وكفيناه كلفة التعب به، وكافأناه على لطيف ما أولاناه من علومه المسوقة إلينا، المفيضة ماء البشر والبشاشة علينا، حتى دعا ذلك أقواماً نُزرت من معرفة حقائق هذا العلم حظوظهم، وتأخرت عن إدراكه أقدامهم، إلى الطعن عليه، والقدح في احتياجاته وعلله. وسترى ذلك مشروحاً في الفصول بإذن الله تعالى))^(٢) ويقول ابن السراج في نهاية مقدمة كتابه الاصول: ((وغرضي

١ (كتاب تاريخ ابن خلدون: ١ / ٧٥٥-٧٥٦

٢ (الخصائص: ١ / ٣-٢

في هذا الكتاب ذكر العلة التي إذا اطردت وصل بها إلى كلامهم فقط، وذكر الأصول والشائع؛ لأنه كتاب إيجاز^(١).

٦- النظام والاسلوب الذي عرضت من خلاله المادة اللغوية، وهذا الامر يختلف من نحوي الى اخر، لان بعضهم من اعتمد النظام نفسه في عرض المادة النحوية منطلقا من اقسام الكلام ومتبعا عند المادة الصوتية، مع الاختلاف في عرض الابواب النحوية داخل هذا النظام، وبعضهم من قدم الصوت والصرف وانتهى الى المادة النحوية مع الفارق في الابواب، والقارئ للمصنفات النحوية من رسائل ومطولات يجد ذلك واضحا، اما من حيث الاسلوب فيختلف من نحوي الى اخر وهذا الامر يمكن ملاحظته بشكل واضح وفي ضوء ذلك يستطيع القارئ أن يفضل ما يجده مناسباً في عرض المباحث النحوية من خلال النظر في اسلوب منسئ الخطاب النحوي. ومثال ذلك ما قيل في أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق المعروف بالزجاجي: ((وكانت طريقته في النحو متوسطة، وتصانيفه يقصد بها الإفادة. ولما وردت له مسائل إلى العراق مع بعض الطلبة وقف عليها أبو علي الفارسيّ- وقد كان رفيقه- فقال: لو رأنا الزجاجي لاستحيا منا. وقد واخذه جماعة في تصانيفه، فمنها كتاب في شرح مقدّمة أدب الكاتب ردّ عليه فيها جماعة من العلماء، وكتابه في النحو المسمى الجمل تعرض له البطليوسيّ، وصنف فيه كتابا سماه الجمل، في إصلاح الخلل، الواقع

في كتاب الجمل، وقد نكت ابن بابشاذ في شرحه نكتا في الردّ عليه، والكتاب مبارك ما اشتغل به أحد إلا انتفع^(١)

٧- شكل الخطاب تعليمي حجاجي جدلي، ومن الثابت ان طبيعة الخطاب النحوي قائم على الحجج في اثبات الاحكام النحوية واللغوية وهو خطاب جدلي وهذا ما سنفصح عنه في الفصول الالية.

وظائف الخطاب اللغوي

نعلم أن وظيفة الخطاب النحوي الافهام لأنّ هناك من يريد معرفة قواعد واحكام اللغة العربية، وهذا الامر يتطلب ايجاد علاقة ما بين طرفي الخطاب، ويكن لنا أن نحدد تلك العلائق من خلال النظر في وظائف الخطاب النحوي.

اولاً الوظيفة الانفعالية:

تمثل هذه الوظيفة بموقف المخاطب وما يصدر عنه من توجيه الى المخاطب، وما يترتب عليه من اثر تواصل بين طرفي الخطاب، أي قبول المخاطب لما طرحه المخاطب عليه من قولٍ ما . ومثال ذلك قبول المبرد لقول سيويوه ورده لقول الاخفش على الرغم من أن المبرد في الاعم الاغلب كان لا يصرح كثيرا بما ينقله عن سيويوه قال المبرد ((و (ما) عند سيويويوه إذا كانت والفعل مصدرا بمنزلة (أن) والأخفش يراها بمنزلة الذي مصدرا كانت أو غير مصدر وسنشرح ما ذكرنا شرحا بينا شافيا إن

شَاءَ اللهُ وَتَقُولُ: أَنْ تَأْتِيَنِي خَيْرَ لَكَ، فَلَيْسَ فِي تَأْتِيَنِي ذِكْرُ لِأَنَّ، وَلَوْ قُلْتَ: رَأَيْتَ
الَّذِي تَقُومُ لَمْ يَجْزِ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَرُدِّ إِلَى الَّذِي شَيْئًا وَهُوَ اسْمٌ حَتَّى تَقُولَ: رَأَيْتَ الَّذِي تَقُومُ
إِلَيْهِ وَلَوْ قُلْتَ: بَلْغَنِي أَنَّكَ مَنْطَلِقٌ لَمْ تَرُدِّ إِلَى (أَنَّ) شَيْئًا وَلَوْ قُلْتَ: جَاءَنِي مِنْ إِنَّكَ
مَنْطَلِقٌ لَمْ يَجْزِ حَتَّى تَقُولَ: إِنَّكَ مَنْطَلِقٌ إِلَيْهِ أَوْ عِنْدَهُ فَهَذَا أَمْرُ الْخُرُوفِ، وَهَذِهِ
صِفَاتُ الْأَسْمَاءِ فَأَمَّا اخْتِلَافُ الْأَخْفَشِ، وَسَيَبُوهِ فِي (مَا) إِذَا كَانَتْ وَالْفِعْلُ مَصْدَرًا
فَإِنَّ سَيَبُوهُ كَانَ يَقُولُ: إِذَا قُلْتَ: أُعْجِبْنِي مَا صَنَعْتَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: أُعْجِبْنِي أَنْ قُنْتُ
فَعَلِي هَذَا يَلْزِمُهُ: أُعْجِبْنِي مَا ضَرَبْتَ زَيْدًا؛ كَمَا تَقُولُ: أُعْجِبْنِي أَنْ ضَرَبْتَ زَيْدًا، وَكَانَ
يَقُولُهُ وَالْأَخْفَشُ يَقُولُ: أُعْجِبْنِي مَا صَنَعْتَ، أَيْ: مَا صَنَعْتَهُ؛ كَمَا تَقُولُ: أُعْجِبْنِي الَّذِي
صَنَعْتَهُ، وَلَا يُجِيزُ: أُعْجِبْنِي مَا قُنْتُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى، وَقَدْ خَلَطَ، فَأَجَارَ مِثْلَهُ، وَالْقِيَاسُ
وَالصَّوَابُ قَوْلُ سَيَبُوهُ^(١)

المبرد في هذا الموضوع من كتابه يصف الاخفش بالخلط الذي جعله يقيس على غير ما
قاس عليه المبرد وسيبويه من قبل، لذلك حدد المبرد علاقته مع المخاطب الكوني من
خلال قبوله ما طرحه سيبويه من قبل، فالمبرد مخاطب ومخاطب في لحظة تسويق
النص وتدوير مقولة سيبويه.

ثانياً الوظيفة الانهامية

هذه الوظيفة ترصد مواقف المخاطب وتسعى متوسلة باللغة الى إثارة انتباهه او الطلب من القيام بعمل ما، نرصد موقف ابن جني من اسقاطات علماء اللغة وما قام به من عمل تمثل بتصحيح وتوجيه ما صدر عنهم. قال ابن جني ((وذهب أبو العباس أحمد بن يحيى في قولهم: أسكفة الباب إلى أنها من قولهم: استكف أي اجتمع. وهذا أمر ظاهر الشناعة. وذلك أن أسكفة: أفعلة والسين فيها فاء وتركيبه من "س ك ف؛ وأما استكف فسينه زائدة؛ لأنه استفعل، وتركيبه من "ك ف ف. فأين هذان الأصلان حتى يجمعا ويدانى من شملهما. ولو كانت أسكفة من استكف لكانت أسفحلة وهذا مثال لم يطرق فكرا ولا شاعر -فما علمناه- قلبا. وكذلك لو كانت مندوحة من انداح بطنه -كما ذهب إليه أبو عبيدة- لكانت منفعلة. وهذا أيضًا في البعد والفحش كأسفحلة. ومع هذا فقد وقع الإجماع على أن السين لا تزد إلا في استفعل، وما تصرف منه. وأسكفة ليس من الفعل في قبيل ولا دبير))^(١) ومثله أيضا رده لقول ثعلب احمد بن يحيى ((وذهب أحمد أيضًا في تنور إلى أنه تفعل من النار -ونعوذ بالله من عدم التوفيق.

هذا على سداد هذا الرجل وتميزه من أكثر أصحابه- ولو كان تفعلًا من النار لوجب أن يقال فيه : تنور كما أنك لو بنيت من القول لكان: تقولا، ومن العود: تعودا.

وهذا في نهاية الوضوح. وإنما تنور: فعول من لفظ "ت ن ر"، وهو أصل لم يستعمل إلا في هذا الحرف، وبالزيادة كما ترى. (١)

وربما يتفق طرفا الخطاب على ان يقوموا و بحكم تناوب الحوار بعمل مشترك ، قيل إنَّ الكسائي وأبا محمد اليزيدي كانا عند أبي عبيد الله واختلفا في لفظ " الشراء " أمدود هو أم مقصور. فمدة اليزيدي وقصره الكسائي فتراضيا ببعض "فصحاء العرب و" كانوا بالباب، فمدوه على قول اليزيدي. وعلى كل حال فهو يمد ويقصر. وقولهم: أشرية دليل المد "كسقاء" وأسقية (٢)

ثالثاً: الوظيفة المرجعية

يلجئ طرفا الخطاب الى هذه الوظيفة لبيان ما هو مشترك ومتفق عليه من المسائل اللغوية وهذا الامر يسهم في ديمومة التواصل في ما بينهما.

رابعاً: الوظيفة الانتباهية

التواصل اللغوي بين طرفي الخطاب لا بد ان يرتكن الى جملة من المعايير ومنها معيار التأدب في الخطاب، فالوظيفة الانتباهية تتمثل بطرائق التواصل بين المتحاورين التي تتيح لهما التواصل او قطع التواصل وهذا منوط اولاً بما يقدمه المخاطب وقبول المخاطب له ثانياً.

١ (الخصائص : ٣ / ٢٨٨)

٢ (الخصائص : ٣ / ٢٩٢)

خامسا: الوظيفة الما وراء لغوية

ننظر في تحليل الخطاب الى اللغة التي شكلت هذا الخطاب النحوي بوصفها لغة واصفة لكلام العرب او شارحة ومفسرة لقول العلماء فهي الى جانب ذلك نجدها تحدد عناصر اللغة وتصريف مفرداتها.

الفصل الثاني
الخطاب النحوي المكتوب

لا شك أنَّ الخطاب النحوي المكتوب كان ولا زال نشاطاً فردياً قام به افرادٌ قد كُتبت أذهانهم وتدرّبت عقولهم وتمت علومهم اللغوية، ووقفوا على استعمالات العرب للغتهم و عرفوا رسومها وحدوا حدودها امضوا سنوات طويلة في مطالعة الخطابات اللغوية المكتوبة وممارسة الخطابات الشفوية القائمة على التفاعلية والحوارية زيادة على ذلك الكفاية اللغوية والتواصلية التي يتسم بها المصنف من خلال لغة الاستعمال .

فالخطاب المكتوب هو الخطاب المنطوق ذو طبيعة غير مسموعة لذلك يكون في مرحلة متأخرة مكتوباً. وإذا ما ذهبنا الى أول مصنف في العربية فإننا نجد كتاب سيديويه بوصفه الخطاب اللغوي الاول المكتوب، ونحن نعلم أنَّ بدايات مراحل تدوين الخطاب كانت من خطاب الامام علي (ع) الذي دفع به الى ابي الاسود الدؤلي.

والخطاب اللغوي المكتوب هو مقابل للخطاب اللغوي المنطوق ، ولكل منهما سمات ومقاصد خطائية تميزه عن غيره، وفي الاصح الاغلب نجد الخطاب المنطوق يحمل قدراً كبيراً من الخصائص اللغوية المشتركة مع اشكال الخطابات المكتوبة^(١) وهذا الامر ينسحب على اللغة الاكاديمية التي يستعملها المختصون في تدريس اللغة العربية، إذ إننا نجدهم يحملون اشكالا من المنطوقات الخطائية التي ثبتت عندهم من خلال تدارس الخطابات المكتوبة. وهذا يعني أنَّ الخطاب اللغوي (الصوتي - الصرفي النحوي) قد مرَّ بمراحل من التدوير ، أي أن المخاطب قد يقول شيئاً سبق وإن قيل من قبل أو يتكلم عن فكرة لغوية ما سبق وإن طرحت من قبل ، وهو في

(١) ينظر تحليل الخطاب ، لـ ج بول: ١٧

هذه الحال يعتمد خطابات لغوية سابقة له، و مثال ذلك عند النظر في مسألة حمل الفرع على الاصل في ايّ باب نحوي وانت تعتمد مقولة ما من النحويين لا سيما المتأخرون منهم ستدرك أنّ الذي وقعت عليه قد مرّ ذكره وتناولته الايدي واللسن واعطوه من الحكم ما انت واقفّ عليه في هذه الحال، يقول ابن جني ((واعلم أنّ العرب تؤثر التجانس والتشابه وحمل الفرع على الاصل، ما اذا تأملتته عرفت منه قوّة عنايتها بهذا الشأن، وأنه منها على أقوى بال، ألا ترى أنهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حده، فأعطوا الرفع في التثنية الألف، والرفع في الجمع الواو، والجر فيهما الياء، وبقي النصب لا حرف له فيجاز به، جذبه إلى الجر فحملوه عليه دون الرفع، لتلك الأسباب المعروفة هناك، فلا حاجة بنا هنا إلى الإطالة بذكرها، ففعلوا ذلك ضرورة، ثم لما صاروا إلى جمع التانيث حملوا النصب أيضاً على الجر، فقالوا ضربت الهندات "كما قالوا مررت بالهندات"، ولا ضرورة هنا لأنهم قد كانوا قادرين على أن يفتحوا التاء، فيقولوا: رأيت الهندات، فلم يفعلوا ذلك مع إمكانه و زوال الضرورة التي عارضت في المذكر عنه))^(١)

وإذا ما ذهبنا إلى طبيعة طرفي الخطاب المكتوب فأنتنا نجد نوعاً خاصاً من التواصل يكون فيه المخاطب والمخاطب شخصاً واحداً في الاصح الاغلب من الخطابات اللغوية وهذا يعرف بالخطاب الداخلي^(٢) ومن هنا نؤشر على قضية مهمة تخص ذات الخطاب، لأننا وفي هذه الحال أي في مراحل تحليل الخطاب اللغوي ندرّك بأنّ هذه

١ (الخصائص / ١ / ١٥٠)

٢ (ينظر النظرية اللسانية عند رومان جاكوبسن، ل فاطمة الطيال بركة : ٤٠)

الذات قد استغرقت وقتاً طويلاً وفي فترات متعاقبة من الزمن لإنجاز هذا الخطاب اللغوي الذي نسعى الى تحليله، أي أنه ليس وليد لحظة الكتابة وفعل الانجاز. ولعل احدهم يطرح سؤالاً: ما فائدة الالتفات الى ذات الخطاب في هذا الموضوع؟ نقول إن اتساع النظر في تحليل الخطاب اللغوي المكتوب، وكيفية إحداثه يسهم في بيان تعدد الاشكال اللغوية للخطاب اللغوي، مما يجعله خطاباً مميزاً يملك سمات لغوية " اسلوبية" تميزه عن غيره، ومن هنا ندرك اثر الذات في هذا كَلِّه لأنها قامت بوصف ملامح لغة الخطاب، إي أنّ منشئ الخطاب يسعى وبشكل دائم الى التواصل مع الاخر، باعتماده عناصر لغوية مجردة موجودة في مخزونه اللغوي وهو في ذلك يوظف مبدء الانتقاء ، ومن ثم تنسيق هذه العناصر اللغوية لتكون عنده منطوقات خطائية معقدة تخضع لنظام هذه اللغة، وهذه اولى مراحل تشكل الخطاب اللغوي لأن مرحلة التنظيم تأتي في اعقاب ذلك، إذ تعتمد الذات الى اعلى مراتب التنظيم في عرض الرسالة اللغوية التي تتسم بالعلامات التفاعلية المبنية على استراتيجيات خاصة يراد بها توجيه المتلقي الخارجي اعتماداً على توجيه الخطاب الى المخاطب الداخلي (المنتزع من ذاتية المخاطب) الى مقاصده واعداه ذهنياً لكي يتقبل ما يطرح من افكار ومواقف.

وفي هذا الخطاب نجد ذاته تعتمد التراكيب الاسمية والفعلية، ولكل تركيب مكانه من الخطاب اللغوي ، ولكل منشئ للخطاب استعمال خاص في مدوته اللغوية، فنجدهم في اصل الباب يعتمدون الجملة الاسمية التي تنوب مناب المصطلح اللغوي، وفي المتن يستعمل التركيب الفعلي او الاسمي أو كليهما بضابطٍ، وقد يشيع استعمال " أعلم "

في الاعم الاغلب، أي أنّ ذات الخطاب تعتمد التوجه الذات المخاطبة لإفهامها أمراً وهذا ما يتسم به الخطاب التعليمي، وبعضهم يستعمل فعل القول (قال) (أقول) (قلت) وهذا كثير في شرح الخطاب النحوي والصرفي ك شرح الكافية وشرح الشافية، زياد على ذلك وجدنا في خطابهم اللغوي المكتوب يعتمدون المنطوقات المبنية للمجهول، وهذا يعني أن الخطاب اللغوي قدر مراً براحل من التدوير اللغوي. إنّ المدقق في الخطاب اللغوي المكتوب سيجده موسوماً بمجموعة من العلاقات اللغوية يكون لها بالغ الاثر في ربط المنطوقات التي تشكل الخطاب، وهذه المنطوقات يمكن وصفها بالعلامات اللغوية والاشارات الزمنية والتمتات الموصولية زيادة على ذلك ما يستعمله المخاطب من وسائل الربط المنطقي ك أدوات الربط والوسائل البلاغية التي يسعى من خلالها الى تنسيق المنطوقات ومدّها بشكل طولي، أي زيادة مكونات المنطوق ، ومن هنا نجد ذات الخطاب تعتمد هذا الامر رغبة منها في اعتماد اعلى مراحل التصريح، والسائد في الخطاب اللغوي أكثر استعمال التشبيه، قال سيبويه «واعلم أنّ من العرب من يقول: ضَرَبُونِي قَوْمُكَ، وضرباني أخواك؛ فشبهوا هذه بالتاء التي يُظهِرونها في : «قالَتْ فلانة»، وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث؛ وهي قليلة»^(١) في هذا الموضع وجدناه اعتمد فعل تشبيه ضمير الرفع المتصل مع وجود الفاعل المصرح به بداء التائيث الساكنة مع وجود الفاعل المصرح به، ثم استعمل التشبيه بداءة التشبيه "كأنهم" و "الكاف" في "كما" لبيان

علة هذا الاستعمال كونه مشابها عندهم لما قرروه في المؤنث، ثم زاد في هذا الامر تصريحاً فقال في موضع اخر في : " باب إجراء الصفة فيه على الاسم في بعض المواضع أحسن وقد يستوي فيه إجراء الصفة على الاسم وأن تجعله خبراً فنصبه " قال : ((فأما ما استويا فيه فقوله: مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائِدٌ به إن جعلته وصفاً وإن لم تحمله على الرجل وحملته على الاسم المصغر المعروف نصبتَه فقلت: مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائِدٌ به كأنه قال: معه بازٌ صائداً به حين لم يرد أن يحمله على الأول. وكما تقول: أتيتُ على رجلٍ ومررتُ به قائمٌ إن حملته على الرجل وإن حملته على مررت به نصبتَه كأنك قلت: مررتُ به قائماً. ومثله: نحن قومٌ ننطلق عامدون الى بلد كذا إن جعلته وصفاً. وإن لم تجعله وصفاً نصبتُ كأنه قال: نحن ننطلق عامدين))^(١)، نلاحظ هنا اعتمد التشبيه بين التراكيب وحمل بعضها على بعض لتبيان الحكم النحوي في هذه المقولات الافتراضية، وفي موضع اخر للتمثيل نجده اعتمد التشبيه في خطابه النحوي إذ قال: ((وكان الذي يقول: يا تيمٌ تيمٌ عديّ لو قاله مضطراً على هذا الحد في الخبر لقال: هذا تيمٌ تيمٌ عديّ. قال: وإن شئت قلت يا تيمٌ تيمٌ عديّ كقولك: يا تيمٌ أخانا لأنك تقول هذا تيمٌ تيمٌ عدي كما تقول: هذا تيمٌ أخونا. وزعم الخليل رحمه الله أن قولهم: يا طلحةٌ أقبِلْ يشبهه: يا تيمٌ تيمٌ عديّ من قبل أنهم قد علموا أنهم لو لم يجيئوا بالهاء لكان آخر الاسم مفتوحاً فلما ألقوا الهاء تركوا الاسم على حاله التي كان عليها قبل أن يُلحقوا الهاء))^(٢).

١ (الكتاب : ٢ / ٤٩ .

٢ (الكتاب : ٢ / ٢٠٧ .

اعتمد سيويوه المشابهة بين المقولات " لأنك تقول هذا ... كما تقول : هذا تيم اخونا، والخليل يستعمل فعل المشابهة يقول : أن قوطم: يا طلحة اقبل. يشبه : يا تيم ...وعند النظر في هذا الخطاب المكتوب وفي ضوء ما تقرر في اعلاه وبمجتنا عن ردود المخاطب أو صوته الذي يقابل صوت المخاطب أي منشئ الخطاب فأنا لا نجد له الا ما يقدمه المخاطب نفسه بقوله : إذا قلت " وهذا يعني أن المخاطب هو ذات منزعة من المخاطب، وهو في هذه الحال لا يمنحها فرصة في رد ما يقول او يعتقد، والمخاطب في هذه الحال يعتمد الى تكرار الذات وبشكل لا يقبل اللبس بينها وبين بنذاتية المخاطب.

اما الخطاب المدور وردود الافعال من المتأخرين بلحاظ الفعل " زعم - رأى - يرى قال " فأنا نجد منشئ الخطاب الاول لا سبيل له الى المخاطب المتأخر الذي اعدم فرصة الرد للمتقدم .

مثال ذلك رد المبرد قول سيويوه والاخير متقدم على المبرد ولا سبيل له في رد اعتراض المبرد ويبقى هذا الامر منوط بتحليل تلك المقولات والوقوف على ما ينسجم والقاعدة اللغوية وما صدر عن العرب فيحينه، قال المبرد في علة بناء ما يعتل في موضع اللام من الاسماء: ((وَذَلِكَ نَحْوُ عَايَةِ وَرَايَةِ وَثَايَةِ فَكَانَ حَقٌّ هَذَا أَنْ يَعْتَلَّ مِنْهُ مَوْضِعُ اللَّامِ وَتَصَحَّ الْعَيْنُ كَمَا ذَكَرْتَ لَكَ فِي بَابِ حَيِّتِ فَيَكُونُ (فَعَلَةٌ) مِنْهُ عَلَى مِثَالِ حَيَاةٍ وَلَكِنَّهُ إِذَا بَنِيَ اسْمًا فَلَمْ يَجْرَ عَلَى مِثَالِ الْفِعْلِ هَذَا قَوْلُ الْخَلِيلِ وَزَعَمَ سَيَوِيوُهْ عَمَرُو بْنُ عُمْتَانَ أَنَّ غَيْرَ الْخَلِيلِ وَلَمْ يُسْمَهُمْ كَانَ يَقُولُ هِيَ فَعَلَةٌ فِي الْأَصْلِ وَكَانَ حَقًّا أَنْ تَكُونَ آيَةً وَلَكِنْ لَمَّا التَقَّتْ يَاءَانِ قَلْبُوا إِحْدَاهُمَا أَلْفَا كَرَاهِيَةَ التَّضْعِيفِ وَجَازَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمٌ غَيْرُ

جارٍ على فعلٍ وَقَوْلُ الْخَلِيلِ أَحَبُّ إِلَيْنَا))^(١) والخطاب المكتوب يدوم طويلا بعد مغادرة الكتاب او منشئ الخطاب على عكس الخطاب الشفاهي الذي ينتهي بلحظة مغادرة صاحبه مقام الخطاب.

والخطاب المكتوب يمكن قراءته بعد غياب المؤلف^(٢) على عكس الكلام الشفاهي الذي ينتهي اثره في لحظة السكوت عنه الا في حال مراقبة ردود الافعال او من الممكن ان تكون نوعا من القراءة كردة فعل في زمنها الذي تمثلت به اولا ، والخطاب المكتوب يعمل على اعادة ظروف انتاجه في الزمان نفسه.

وفي هذه الحال يمكن لنا أن نصف الخطاب النحوي بعد سيويوه بكتابة اقتباسات تتحرك عبر الزمن الى يومنا هذا، وهذه الاقتباسات بنيت على خطاب سيويوه المكتوب وفي ضوء تعدد الاصوات وصور الذات في هذه الكتابة الخطائية نجد ان ثمة ذات تنظمه وتوجهه وهي ذات سيويوه لأنها صاحبة المنشئ الشرعي للخطاب النحوي. لان من جاء بعده من النحويين لا يمتلكون الا الوظيفة التصنيفية. ومن المسائل التي تتعلق بالخطاب المكتوب تفرد كل نحوي و لغوي بما صدر عنه وهذا ما يحيل اليه اسم المصنف نفسه، أي أنك حينما تسمع اسما ما تذهب بك ذاكرتك اللغوية والمعرفية الى تلك المفارقات التي تميز بها عن غيره من اللغويين والنحويين. وفي ضوء ذلك ندرك بان الخطاب النحوي المكتوب وحده يتسم بهذه السمات فضلا عن عرضه عرضا كاملا لمعايير الخطاب.

١ (المقترض: ١ / ١٥١)

٢ (ينظر المؤلف: ٢٣)

وخلاصة ذلك تقول إنَّ الخطاب المكتوب يتسم بالثبات بعيدا عن وصفه بالاعتباطية على عكس الخطاب الشفاهي الذي يتمثل بهذا الوصف، وهذا يعني أنَّ الخطاب المكتوب خطاب سياقي منظم، إذ تقوم ذات الخطاب بالتعبير عن استكمال ما كان ناقصا غير مفهوم ، والاجابة عن الاسئلة المتقدمة سلفا، زياد على ذلك نجد ذات الخطاب غير منفصلة تاريخيا عن مجتمعا ولسانه، وهذا يفصح عن ان الخطاب النحوي انعكاس للحالة اللغوية السائدة في ذلك العصر والمكان.

الفصل الثالث

الذاتية في الخطاب النحوي

لاشكَّ في أنَّ الذاتية في الخطاب اللغوي هي قدرة اللغوي على أن يطرح نفسه داخل لغة الاستعمال التي مثلت حقله المعرفي والإجرائي، إذ تتيح لنا البحث عن أسس ومعطيات تلك القدرة التي تمثل بها اللغوي، واصبحت سمة من سمات التلغظ الذاتي، كونه " يتوخى بعض الصيغ التي توفرها اللغة لهذا الغرض، وأولها الضمير (انا) الذي يمثل استعماله الأساس الفعلي للوعي بالذات"^(٢) بوصفه عنصراً إشارياً يفصح عن ذاتية المتكلم، وتوظيفه في الخطاب يؤسس ذلك الوعي بـ "الأنا" والآخر " أنت" فمجرد أن يتلفظ بالضمير "أنا" يتضمن المخاطب " أنت" بسبب أنَّ المخاطب يتوجه بخطابه الى من يتلقاه (يسمعه ويقراه) فالذاتية الخطائية تستقي مبررات وجودها من المقابل مع البينذاتية الخطائية^(٣).

إنَّ الخطاب النحوي لا يمكن للمتلقي أن يستشعر ذاتية صاحبه عند طريق ما أسند الى الفعل من ضمير المتكلم إلا عن طريق المقابلة مع عنصر اشاري آخر قد تمثل في افعال القول، وهذا ما يشكل خطاباً، ويحق لنا أن نقول عنه: تلفظاً ذاتياً، وقد اشار بنفسه^(٤) الى هذا المعنى، حينما أدرك أنَّ الوعي بالذات لا يمكن أن يقف عنده مستعمل اللغة الا عن طريق المقابلة، فيقول: " فأنا لا أستعمل "أنا" إلا بالتوجه

١ (ينظر معجم تحليل الخطاب: ٥٣٦.

٢ (معجم تحليل الخطاب: ٥٣٦-٥٣٧.

٣ (ينظر آليات الحجاج في الخطاب الادبي عند المعتزلة، للدكتور ميلود نزار: ٢٦٨

٤ (ينظر معجم تحليل الخطاب: ٣٣٧.

إلى شخص فيضمن خطابي " أنت " (١) وهو في هذه الحال يوشر الى مبدأ الحوارية الذي تشكليه ذاتية المُخاطب وبنذاتية المخاطب.

وعند النظر في الخطاب النحوي نجد الذاتية قائمة في كل شيء، أي أن كل خطاب لغوية موسوم ذاتياً، على الرغم من تنوعها الموضوعي واختلافها الشكلي، وهذا الامر تطلب منا البحث فيه، وأن نضع الذات المتكلمة مكانها وموقفها بالنظر الى ماهية نشاطها اللغوي، الذي يفصح عن الذات وعلاقتها بمعطيات مقام التواصل الذي أوجدت نفسها فيه وما استعملته من طرق لإخراج الخطاب (٢) زيادة على ذلك سنبحث عن استراتيجيات الذات في الخطاب اللغوي " النحوي " واثراً في تشكل الخطاب اللغوي، يقول شارودو في وصف ذات الخطاب بصفة العموم: " ولها حرية القيام باختيارات أثناء إنشاء الخطاب، فهي في آن واحد محكومة بمعطيات مقام التواصل (العقد) التي تؤدي بها الى أن تسلك سلوكاً خطائياً معيناً، وتتمتع بجرية الفردنة مما يحملها على توخي استراتيجيات " (٣) وهذا ما سيتضح للقارئ عند النظر في آليات تحليل الخطاب اللغوي في القادم من الصفحات.

فذات الخطاب هي المسؤولة عن الاغراض الكلامية ، ولا يعد الخطاب خطاباً الا اذا أُرِجِعَ الى الذات (٤) ويعبر عنها بـ " الصوت " في ما يعرف " بنظرية تعدد الاصوات " أي أن القول المنطوق ((لا تقوم به ذات واحدة وانما تشارك في القيام به

١ (معجم تحليل الخطاب : ٥٣٧

٢ (ينظر معجم تحليل الخطاب : ٥٣٧

٣ (المصدر نفسه : ٥٣٨

٤ (ينظر المصدر نفسه : ٣٩ - ٤١ .

ذوات كثيرة كما لو كانت اصواتا مختلفة تأتلف فيما بينها للنطق به مرة واحدة، ولا تقتصر هذه الذوات على ذات المتكلم الذي تولى النطق بالقول وذات المستمع الذي توجه إليه القول، وإنما تتعداهما الى ذوات اخرى تكون هي المسؤولة عن الاغراض الكلامية التي يحملها هذا القول ، وذوات غيرها تكون هي التي تتوجه تكون هي المسؤولة عن الاغراض الكلامية التي يحملها هذا القول ، وذوات غيرها هي التي تتوجه إليها هذه الاغراض الكلامية، وهذا يعني أن المتكلم عبارة عن ذوات كثيرة، كل واحدة منها تقوم بوظيفة خطائية مخصوصة))^(١) ومن هنا يجب أن لا نفهم من الذات ما اعتاد الفلاسفة بتسميته بهذا الاسم ، أي الشخص الفرد، أو مؤلف الصياغة، أو التشكيكية الخطائية، بل المقصود بالذات هو الوضعية التي يمكن أن يشغلها أفراد مختلفون^(٢) كل فرد منهم يقوم بوظيفة خطائية مخصوصة.

إنّ ذوات الخطاب " الحقيقية والافتراضية" هي من تحدد طبيعة وشكل الخطاب الخطاب اللغوي بوصفه سلوكا لغويا توصليا بين الذوات، تملك أشكال الانتظام بين الموضوعات وأنواع التعبيرات والتصورات والاختيارات الفكرية. و هذا السلوك اللغوي يتمثل بالمنطوق الذي يوصف بأنه ((ذرة الخطاب و وحدته الاولى وعنصره الاخير يتماثل مع الجملة والقضية والفعل اللساني))^(٣) كونه قولاً ذا خصائص نصية ، أي أنه نص موجه بسياق^(٤) الذي يعد شكلاً من اشكال التواصل كالعلامات

١ (اللسان والميزان : ٢٨ .

٢ (ينظر الخطاب ، بحث في بنيته وعلاقاته : ٧٨-٧٩

٣ (ينظر المصدر نفسه: ٧٧

٤ (ينظر الخطاب لهرمان، ترجمة محمد اسيداه، مجلة نوافذ العدد (٣٤) ٢٠٠٥ م : ٨٨

والاعلانات واللوحات التشكيلية التي تمثل خطاباً بصرياً، والخطاب في هذه الحال يمكن يتصف بالمادية.

وعند النظر في التشكيلية الخطائية نجدتها تتكون من منظومة من المنطوقات لا تكون فردية بل هي مجموعة منطوية، صدرت عن ذوات عاقلة تسعى الى افهام الاخر، فالتشكيلية الخطائية: ((هي المنظومة المنطوية العامة التي تحكم مجموع الانجازات اللغوية))^(١) فوظيفة المنطوق داخل التشكيلية الخطائية ترتبط بالممارسة الخطائية بين الذوات وبها يحدد علاقاته التاريخية والاجتماعية واللغوية وقواعده الموضوعية^(٢)

وأن هذه المنطوقات (الموضوعات) تحكمها قواعد ومن بينها ما يعرف بالانباتق أي كيفية ظهور الموضوعات في مكان ما ، وهذا يعني وصف الفضاءات التي انبثقت منها موضوعات الخطاب، ومن الطبيعي أن تختلف هذه الموضوعات تبعاً لاختلاف المجتمعات والبيئات اللغوية^(٣) والامر في الاعم الاغلب منوط بذات الخطاب والنظر بمرجعات تلك الذات التي ستفصح عن تلك الفضاءات الفكرية والدينية والاجتماعية.

إن النظر في طبيعية الخطاب اللغوية و وصفه حسب مراحل الانجاز وجدنا ذات الخطاب قادرة على بيان وتنظيم مراتب الخطاب اللغوي بين مختلف الخطابات من

١ (الخطاب بنيته وعلاقته : ٨٤ .

٢ (ينظر المصدر نفسه : ٨٥ .

٣ (ينظر الخطاب بنيته وعلاقته : ٨٦ .

جهة وتحديد مراتبه داخل الخطاب اللغوي نفسه من جهة اخرى وهذا ما يستدعي القول بالتعيين والترتيب الذي بمقتضاه نئين مراتب الخطاب اللغوي ونميزه عن الخطابات الاخرى^(١).

اما القول بالتمييز والفرز بين الخطابات اللغوية فهذا مرده الى القدرة والكفاءة اللغوية والتواصلية التي تتمتع بها ذات الخطاب الحقيقية ، فهي من تسمح بظهور خطاب معين في التاريخ، ومن هنا نستطيع أن نئين خصائصه واختلافه أو تماثله مع خطابات اخرى سابقة أو لاحقة، وهذا ما يمثّل بذاتية خطاب سيوييه. حتى اصبح نظاما أو شكلا من اشكال الخطاب التعليمي في منتصف القرن الثاني وما تلاه .

فالخطاب اللغوي خاضع لقواعد لا تزال بحاجة الى افهام الاخر " المخاطب " والنظر في ردود افعال النوات المشاركة في تلقيه ، وهذا الأمر لا يتعلق بقواعد نحوية تحكم سلامة تكوين الجمل تركيبياً، بل يتعلق باستراتيجيات يجب أن تكون مقبولة تداولياً في جماعة مقالية^(٢).

ومن الثابت أن مختلف المنطوقات التي تشكل الخطاب اللغوي " النحوي " بوصفه ممارسة خطائية ترتبط بوظيفة المنطوق داخل التشكيمة الخطائية، وعلاقتها التاريخية والاجتماعية واللغوية ، لأنها تعود الى موضوع واحد ، فمنطوقات علم النحو تعود الى اصل الوضع اللغوي للغة الاستعمال بالنظر الى سلامة التركيب . ويرى دكتور خليفة

(١) ينظر المصدر نفسه : ٨٦ .

(٢) ينظر المصدر نفسه : ٩١ .

بوجادي أنّ تحليل الخطاب عند ماثقينو يقوم على ((دراسة الاستعمال الفعلي للغة من خلال متكلمين فعليين، في مقامات فعلية))^(١)

صور الذات في الخطاب النحوي

ذات متعددة :

وهي ذات النحوي الفردية الحاملة لعديد الاصوات التلفظية التفسيرية، وهذا ما تتمثل في الاعتبارات الآتية:

اعتبار المنطق اللغوي، وهذا ما يكون بين المُخاطَب والمُخاطَب من غرض لغوي محض، وفي هذا المعنى يقول سيبيويه في أول باب من ابواب الكتاب " هذا باب علم الكلم من العربية": ((فالكلم : اسمٌ وفعلٌ، وحرّف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، فالاسمُ: رجلٌ وفرسٌ، وأما الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع))^(٢) وبعد ذلك فسّر ابنية الافعال وجعل للماضي جهمتين من خلال التمثيل بالصيغة (ذَهَبَ و سَمِعَ) و(مَكَثَ و حَمِدَ)^(٣) وفي هذا التمثيل ميزة أخرى تفصح عن ذاتية صاحب الخطاب، استعمال الصيغة (فعل و فَعِلَ) للزمن الماضي و (فَعُلَ و فَعِلَ) للماضي البعيد "المجهول" كونه بني تمثيلا على الأكثر دورانا في لغة العرب " لغة الاستعمال.

(١) في اللسانيات التداولية محاولة تاصيلية: ١٣٤

(٢) الكتاب: ١ / ٤٠

(٣) ينظر الكتاب: ١ / ٤٠

ولننظر في التمثيل الاخر لزمن الفعل الذي لم يقع، فقد قسمه على قسمين: الاول يكون في الأمر، ومثل له بثلاث صيغ " أفعل و افعل واضرب" - اذهب ، اقتل ، اضرب-، وهو في هذه الحال جاء على جميع الوجوه التي يتصرف فيها الفعل في هذه الحال، اما القسم الثاني فتكون فيه مخبراً وجاء بثلاث صيغ " يُفَعْلُ و يُفَعْلُ و يُفَعْلُ" والصيغة الرابعة " يُفَعْلُ" مثل لها بما مثل له من قبل في " يُفَعْلُ" (يُضْرَبُ ، يُضْرَبُ) لكي لا يلبس هذا البناء عند المخاطب. اما بناء ما لم ينتقع وهو كائن فكونك في حال الاخبار.^(١)

اعتبار المعاينة ، وهي الذات المخاطبة كأنها ترى وستمع المخاطب، إذ نجد سيويوه كأنه يتحدث الى شخص امامه وهذا ما يمكن أن نقف عليه من خلال توجيه الخطاب الى بنذاتية المخاطب، قال سيويوه : ((واعلم أن الفعل الذي لا يتعدى الفاعل يتعدى إلى اسم الحدثان الذي أخذ منه ، لأنه إنما يذكر ليبدل على الحدث. ألا ترى أن قولك قد ذهب بمنزلة قولك قد كان منه ذهاباً. وإذا قلت ضرب عبد الله لم يستبن أن المفعول زيد أو عمرو ولا يدل على صنف كما أن ذهب قد دل على صنف وهو الذهب وذلك قولك ذهب عبد الله الذهب الشديد وقعد قعدة سوء وقعد قعدتين لما عمل في الحدث عمل في المرة منه والمرتين وما يكون ضرباً منه))^(٢)

(١) ينظر تمثيلات اكثر لهذا الضرب من الذات في الكتاب : ٤٠ / ١

(٢) الكتاب : ٦٨-٦٩ / ١

فالذات المعانية تأسست على العلامات الاشارية للبندائية المقابلة للذات، وهذا ما
تمثل في خطاب سيويوه ب قوله ((واعلم ٠٠٠٠ ألا ترى أن ٠٠٠ قولك
٠٠٠٠ واذا قلت ٠٠٠ وذلك قولك)

أعلم _____ ترى

مبررات وجود الذاتية المعانية

قولك: انت (العنصر الاشاري المصاحب للبندائية)

قلت

قولك

يلحظ القارئ ومن تمام التواصل أن ثمه متحاورين قد تمكنا من ضبط الوظيفة
المرجعية لموضوع التواصل، وهذا ما مثلته الذات المعانية للبندائية داخل الحوار
باعتماد الضمير المخاطب .

ومثله في باب (صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فَعَلَ في المعنى، وما يعمل فيه) قال
سيويوه : ((وقد يشبهون الشيء بالشيء وليس مثله في جميع احواله، وسترى ذلك
في كلامهم))^(١).

ومثله قوله في(باب من الفعل سُمِّي الفعل فيه بأسماء مضافة) قال: ((ويدلُّك على
أنك إذا قلت : " عَلَيَّكَ " فقد أضمرت فاعلاً في النيَّة، وإنَّما الكاف للمخاطبة،
قولك: " عَلَيَّ زيداً " وإنَّما ادخلت الياء على مثل قولك للمأمور: " أولني زيداً "))^(٢)

١ (الكتاب: ٢٤١ / ١)

٢ (الكتاب: ٣٠٧ / ١)

ومثله قوله في باب "كم" قال: ((وإذا قال لك رجل: " كم لك " فقد سألك عن عددٍ ، لأنَّ " كم " إنما هي مسألة عن عدد ههنا، فعلى المجيب أن يقول : " عشرون " أو ما يشاء))^(١).

وجاء في موضع من الكتاب وسيبويه يخاطب الآخر بوصفه معانياً سامعاً ومشاركاً في إنتاج خطاب صر في عني بتبيان الزوائد وشركها بين الافعال والاسماء، قال: ((واعلم أنَّ للهمزة والياء والتاء والنون خاصة في الافعال ليست لسائر الزوائد... وقد بين شركة الزوائد وغير شركها في الاسماء والافعال من بنات الثلاثة في ما مضى، وسأكتب لك شيئاً حتى يتبين لك ما اعني ٠٠٠ فهذا الذي عنيت في الشركة. فتفطن له، فإنه يتبن في الفصول فيما اشرك بينه، فاعرفه في هذا الموضع بعدد الحروف، ... وإذا تعددت ذلك في الفصول تبينث لك أن شاء الله))^(٢)

باعتبار الافتراض

هذا الاعتبار يتمثل في اعتراض المخاطب الافتراضي على ما قدمه المخاطب من خطاب لغوي تمثل بخصائص لغوية، وعلى هذا الاعتراض الافتراضي يتأسس خطاب آخر، قال سيبويه في " باب النفي بـ لا": ((واعلم أنَّ " لا " وما عملت فيه موضع ابتداء، كما قلت : " هل من رجلٍ " فالكلام بمنزلة أسم مرفوع مبتدأ))^(٣) ، فالخطاب الذي تأسس على اعتراض المخاطب الافتراضي لما قاله سيبويه بأنَّ " لا " و

١ (الكتاب : ٢ / ١٥٩ .

٢ (الكتاب : ٤ / ٤١٩ - ٤٢٠ .

٣ (الكتاب : ٢ / ٢٨٧ .

معمولها في موضع ابتداء، يشعر المتلقي بأنَّ المخاطب قال: كيف يكون ذلك؟ وما هو دليلك عليه؟ قال سيبويه: ((الدليلُ على أنَّ "لا رجل" في موضع اسم مبتدأ، و"ما من رجل" في موضع أسم مبتدأ في لغة تميم قولُ العرب من اهل الحجاز: "لا رجلَ أفضلُ منك"^(١))، يقول ابو سعيد السيرافي الحسن بن عبدالله المرزبان (ت٣٦٨هـ): ((وأما استدلال سيبويه على أنَّ "لا رجل" في موضع أسم مبتدأ في لغة بني تميم بقول العرب من اهل الحجاز: "لا رجلَ أفضلُ منك" فكان بنو تميم يقولون: "لا رجل" ويستكتون عن إظهار الخبر، واحتج بلغة اهل الحجاز لانهم يظهرن الخبر))^(٢).

وقال في "باب ما كانت الواو فيه أولاً وكانت فاء": ((واعلم أنَّ هذه الواو إذا كانت مضمومة، فأنت بالخيار إن شئت، تركها على حالها، وإن شئت أبدلت الهمزة مكانها، وذلك نحو قولهم في "وُلِدَ": "أُلِدَ" وفي "وَجُوه": "أَجُوه"^(٣)) أنَّ متلقي النص "المخاطب" الافتراضي لا يرتضي فعلَ الإِشَاءَةِ وأن يكون مخيراً في لغة الاستعمال وعدم النظر في تكلم الوجوه من التصريف، وعلى المخاطب بيان علّة ذلك، وهذا ما ذهب اليه سيبويه من القول، فقال: ((وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمةً كما يكرهون الواوين فيهمزون، نحو "قَوْلٍ" و"مَوْئنة"^(٤)) فالأمر هنا

١ (الكتاب: ٢ / ٢٨٧.

٢ (شرح كتاب سيبويه، لابي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله المرزبان ٣ / ١٦

٣ (الكتاب: ٤ / ٤٧٤

٤ (الكتاب: ٤ / ٤٧٤

كراهة الاجماع بين الواوين، وقلها همزة جازراً مطرداً لا ينكسر^(١)، اما من تركها على حالها فقد رُعي الاصل في ذا، ولم يقف سيويوه عند هذا لان المخاطب الافتراضي يريد علّة الحذف والابدال لهذه الواو، فقال: ((ومع ذلك أنّ هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل، فأرادوا أن يضعوا مكانها حرفاً أجلد منها، ولما كانوا يريدونها وهي مفتوحة في مثل " وَنَاةٍ" و" أَنَاة" كانوا في هذا أجدر أن يبدلوا حيث دخله ما يستثقلون، فصار الإبدال فيه مطراً حيث كان البديل يدخل فيما هو أخف منه))^(٢).

ذات منقسمة:

هذه الذات تحمل أنماطاً من المعارف اللغوية والموصفة بها والمتمثلة باستعمال الدقيق للمصطلحات وطرائق التفسير والاستدلال التي تتميز بها عن غيرها ، وهذا الاستعمال للمصطلح والتفسير للظواهر اللغوية فضلاً عن تفسير الظواهر التي خرجت عن القياس مسنداً الى مرجعيات فكرية ميزت خطاب النحوي عن غيره، ويرى الدكتور بشير ابرير أنّ فهم المصطلحات عند سيويوه ((تحتاج إلى نوع من القراءة تخرجها من مستوى الموجود بالقوة الى الفعل، إلى قراءة تسبر أغوار هذه المصطلحات في سياقاتها النصية، وتنفذ إلى أسسها المعرفية التي تؤطرها و تحدد مفاهيمها العلمية))^(٣)

١ (ينظر شرح الشافية: ٣/ ٥٦)

٢ (الكتاب: ٤ / ٤٧٤)

٣ (آليات تحليل الخطاب في كتاب سيويوه، أ.د. بشير ابرير، مجلة كلية الآداب واللغات. جامعة باجي مختار، العدد (١٠- ١١)

للسنة ٢٠١٢ : ١٦

ومن الاستعمالات اللغوية التي خرجت عن القياس وعني بتحليلها دون غيره قوله :
 ((وأما قول النحويين: " قد أعطاهوك وأعطاهُوني" فإنما هو شيء قاسوه لم تكلم به
 العرب، فوضعوا الكلام في غير موضعه، وكان قياس هذا لو تكلم به ، كان هيناً))^(١)
 ومن انماط الذات المنقسمة الذات التي تلبتست فيها ذات لغوية واعية ومثال ذلك ما
 روي عن يزيد بن المهلب ، قيل كتب يزيد الى الحجاج: " إنا لقينا العدو فمحننا الله
 أكتافهم ، فأسرنا طائفة وقتلنا طائفة، واضطربناهم إلى عُرْعرة الجبل، ونحن بحضيه
 وأثنا الأبهار" فلما قرأ الحجاج الكتاب قال: ما لابن المهلب ولهذا الكلام! حسداً له
 قيل له: إن ابن يعمر هناك ، قال: فذاك إذا^(٢) ، نلاحظ اثر يحيى بن يعمر في كلام
 المهلب الذي حسده عليه الحجاج لأنه لم يسمع هذا الخطاب من قبل.

ذات مزدوجة

الذات المنتزعة من ذاتية المتكلم :

وهي الذات التي تعمل تناوبياً بينها وبين ذات منتزعة منها^(٣) ، إذ اقامها سيويه من
 نفسه مقام المستمع، وتكون متخيلة لما يكون من رد فعل المخاطب الافتراضي، وكثيراً
 ما تجنح نحو التأويل، وهذا ما تمثل في "تكسير فَعْلُ على فِعْلة" قال سيويه: ((ربما
 كَسر الفَعْلُ على ((فِعْله)) كما كسر على فِعْالٍ و فُعُولٍ ، وليس ذلك بالأصل. وذلك

١ (الكتاب : ٢ / ٣٨٦ .

٢ (طبقات النحويين واللغويين : ٢٨

٣ (ينظر معجم تحليل الخطاب : ٥٣٩ .

قولهم : جَبءٌ وهو الكمأة الحمراء وجِبَاءَةٌ ، وَقَفَعٌ و فِقْعَةٌ وَقَعْبٌ و قِيعَةٌ))^(١) ، بدأ سيويوه خطاب بالعلامة اللغوية "ربما" التي اتسقت مع السياق العام للخطاب من خلال وظيفتها الوصفية، ومن ثمَّ يهيئ التفسيرات اللغوية والحجج التي تكون ضابطة لمثل هذا الخطاب، وسيويوه في هذه الحال جرد من ذاته الحقيقية ذاتا اعتبارية، فأقامها من نفسه مقام المستمع، فيكون توجهه الى ذاته غير مختلف في حقيقته عن توجهه الى غيره، والراجح في هذا الخطاب التوجه الى الغير كالتوجه الى الذات، كون المرسل ملزماً بالتواصل مع محيطه الخارجي، فيلقي بالقول الى نفسه كما يلقي به الى غيره وتتلقاه نفسه كما يتلقاه غيره^(٢).

عبارة " ربما كُسِرَ الفَعْلُ على ((فعله)) كما كسر على فِعَالٍ و فُعُولٍ " تشي بإمكانية هذا المثال قياساً على ما كُتِبَ من قبلُ اذا جاوزت به العشرة على " فِعَالٍ و فُعُولٍ " وعلَّ هذين البنائين ثبتي في هذا الطرب من الوصف عن طريق تقاطع المثال في الخطاب الصرفي حتى قيل أن هذا البناء ((ربما كانت فيه اللغتان))^(٣)

إنَّ تجزئة الخطاب الصرفي في هذا الموضع من البحث يفصح عن آلية لغوية قد اعتمدها سيويوه وهي آلية الحجاج كونه منطوقاً موجهاً الى ذاتٍ ما أو مجموعة من النوات لافهامها امراً ما يحق لهم الاعتراض عليه^(٤) ، واذا ما عدنا الى نظائر هذا المثال ك جَبء الذي قال عنه الكمأة الحمراء، نجدها عند الخليل بن احمد يقول : ((الجَبَاءَةُ

١ (الكتاب ٤/٤

٢ - ينظر اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢١٤

٣ - الكتاب : ٤/٤٧

٤ - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي : ٢٣٧

مثل الكمأة الحمراء^(١) و يقول الجوهري في الصحاح : ((الجَبءُ واحدة الجبأة وهي الحُتر من الكمأة))^(٢) والاصل فيها الى الغبرة و السواد^(٣) ، ف نجد سيويوه دقيقاً في بيان مدلول المثال، وهو في هذه الحال لم يكن ينقل عن الخليل بن احمد على الرغم من أنه في الاصل ذاتٌ ناقلةٌ، والامر في ذا ممارسة ذاتية في بيان دلالة المثال.

وقد اعتمد سيويوه في هذا الموضوع من البحث الجانب التواصلية الذي الغى ذاتية الاخر بلحاظ العلامة اللغوية " وزعم " ، مبتعدا في ذلك عن التخاطب، حيث أوصل قول الخليل الى متلقي منتزع، يطلب النظائر، أذ قال ((وقد يكسر على " فُعولة و فعالة" فيلجقون هاء التأنيث البناء وهو القياس أن يكسر عليه، وزعم الخليل أنهم إنما أرادوا أن يحققوا التأنيث، وذلك " الفحالة و البعولة و العمومة، والقياس في " فَعَلٍ" ما ذكرنا، وما سوى ذلك فلا يُعلم إلا بالسمع ثم تطلب النظائر، كما أنك تطلب نظائر الأفعال هاهنا فتجعل نظير الأزناد قول الشاعر^(٤) وهو الاعشى :

إذا رَوَّحَ الراعي اللقاح معزبا
وأمست على آنافاها عبراتها

في هذا الخطاب مثلث الذاتية فيه بعدا اخلاقياً سلبياً، كون صاحب الخطاب اتى بالعلامة اللغوية " زعم " التي جعل منها المحلل اللغوي سبباً في انتزاع مبدأ التهذيب من خطاب سيويوه، وكان به أن يأتي بالقول على الوجهة التي يقتضها الخطاب الصري وهي بيان القصد، وسيويوه قصد الى هذا الضرب من الخطاب لغرض اقبال

١ - معجم العين: ١/ ٢١٣.

٢ - الصحاح: ١/ ٣٩.

٣ - ينظر المصدر نفسه: ١/ ٣٩.

٤ - الكتاب: ٤/ ٤٨.

المخاطب على سماعه والقبول بما يقول وإثبات نفسه، وإلا كان خطابه ما قاله السيرافي في هذه المسألة إذ قال ((يريد أن جمع فعلٍ في القلة: أفعل، وفي الكثرة: فَعُولٌ و فِعَالٌ، وذكر غير ذلك مما جاء جمعُ فَعَلٍ، عليه، فإن جاء منه شيء خارج عن القياس، حملت على نظيره مما جاء عن القياس. ثم قال: " فتجعل نظير الأزداد قول الشاعر" ^(١)، فمن هنا نلاحظ كيف انتزع سيبويه ذاتاً مخاطبةً من نفسه وجنح بها إلى طلب النظائر في تلك الموضوعة الصرفية.

الذات المنتزعة من بندائية المتلقي.

هذه الذات تنتزع من المتلقي الذي توجه له الخطاب وتكون من ذوي العلم والدراية أو من يريد معرفة مباني العربية وأصولها. ولا شك في أن الخطاب اللغوي ولا سيما خطاب سيبويه له تأثيره اللغوي على مستعمل اللغة، ولا سيما النحويون الذين تمتلوا بما قاله ونقله سيبويه، وهو في هذه الحال يشكل ضغطاً كبيراً عليهم في حال خروجهم عن قواعد ذلك الخطاب، لانهم في حال خروجهم سيجدون انفسهم خارج المنظومة اللغوية الراعية للقواعد.

الذات باعتبار الوظيفة الخطابية

الذات الخارجية وهي الذات التي تتصل بالخطاب حتى يُظن انها من اسهم في تدونه بلحاظ اسناد فعل القول الى منشئ الاخطاب في ذهن المتلقي وهذا ما يمثل

١ - شرح ابیات سیبویه، لابی محمد یوسف بن المرزبان السیرافی، تحقیق: الدكتور محمد الریح هاشم. دار الجیل - بیروت -

لبنان، الطبعة (الاولی) لسنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م: ٢/٢٣٦.

في كتاب الاصول لابن السراج في باب اقسام الكلام ((بسم الله الرحمن الرحيم قال أبو بكر محمد بن السراج النحوي: النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخراج المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة، فباستقراء كلام العرب فاعلم: أن الفاعل رفع، والمفعول به نصب، وأن فعل مما عينه: ياء أو واو تقلب عينه من قولهم: قام وباع))^(١) نجد في هذا الباب ذات خارجية لم تفسح عن نفسها قد تمثلت في خطاب ابن السراج.

والحال عينها في كتاب الانصاف في مسائل الخلاف لابي البركات الانباري قيل في مقدمة الكتاب ((قال الشيخ الامام العالم الزاهد كمال الدين عبد الرحمن ابي سعيد الانباري وفقه الله: الحمد لله الملك الحق المبين...))^(٢) ومثل ذلك ما وجدناه في كتاب المذكر والمؤنث لابي حاتم سهل بن محمد السجستاني إذ قيل في مقدمة كتابه ((بسم الله الرحمن الرحيم كتاب المذكر والمؤنث من تأليف ابي حاتم السجستاني قال ابو حاتم : الفصاحة زينة ومروءة ترفع الخامل وتزيد النبية نباهة...))^(٣) وهذه الذات هي ذات تدوين الخطاب بعد سماعه من منشئه، أي ذات ناسخة ومسجلة للخطاب.

١ (الاصول في النحو : ٣٥ / ١)

٢ (الانصاف في مسائل الخلاف : ٥ / ١)

٣ (المذكر والمؤنث : ٣٣)

الذات الناطقة وهي الذات المخاطبة والموجهة للمخاطب الصريح وهذا ما وجدناه في كتاب همع الهوامع للسيوطي الذي بين ذلك في مقدمة كتابه هذا وبين القصد من وراءه لطلابه الذين الحوا عليه لعمل هذا المصنف إذ قال : ((يقول عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي - لطف الله تعالى به - سبحانه! لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وأصلي وأسلم على مُحَمَّد أفضل من خصصته بروح قدسك وبعد فإن لنا تأليفا في العرَبية جمع أدناها وأقصاها وكتبا لم يُعادر من مسائلها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ومجموعا تشهد لفضله أرباب الفصائل ومجموعا قصرت عنه جموع الأواخر والأوائل حشدت فيه ما يقر الأعين ويشنف المسامع وأوردته مناهل كتب فاض عليها همع الهوامع وجمعه من نحو مائة مُصنّف فلا غرو أن لقبته جمع الجوامع وقد كنت أريد أن أضع عليه شرحا واسعا كثير النقول طويل الذبول جامعا للشواهد والتعاليل معتنيا بالانتقاد للأدلة والأقاويل منها على الضوابط والقواعد والتقسيم والمقاصد فرأيت الزمان أضيق من ذلك ورغبة أهله قليلة فيما هتالك مع إلحاح الطلاب علي في شرح يرشدهم إلى مقاصده ويطلعهم على عرائيه وشوارده فنجزت لهم هذه العجالة الكافلة بحل مبانيه وتوضيح معانيه وتفكيك نظامه وتعليق أحكامه مُسمّاة بهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ... والله أسأل أن يبلغ به المتأفّع ويجعلنا ممن يسابق إلى الخيرات ويسارع بمنه وكرمه.))^(١)

الذات الفاعلة وهي الذات التي تتمثل بالخطاب النحوي وتلبس فيه تقول وتفسر وتشرح وتؤول وترد وتعرض ومثال ذلك ابن هشام الانصاري في كتابه مغني اللبيب إذ قال في الباب الأول "في تفسير المفردات وذكر أحكامها" ((وأعني بالمفردات الحُرُوف وما تضمن معانيها من الأسماء والظروف فإنها المحتاجة إلى ذلك وقد رتبها على حُرُوف المعجم ليسهل تناولها وزُيِّمَ ما ذكرت أسماء غير تلك وأفعالاً لمسيب الحاجة إلى شرحها))^(١) وقال في موضع آخر رداً على من جهل صور إن المكسورة الخفيفة ((وقد بلغني أن بعض من يدعي الفضل سأل في {لَا تَفْعَلُوهُ} فَقَالَ مَا هَذَا الْإِسْتِثْنَاءُ أَمْتَصِلُ أَمْ مُنْقَطِعٌ))^(٢) ومثل ذلك قوله في رأي ابن مالك ((لَيْسَ مِنْ أَقْسَامِ إِلَّا الَّتِي فِي نَحْوِ {لَا تَنْصُرُوهُ} فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ {وَأَمَّا هَذِهِ كَلِمَتَانِ إِنْ الشَّرْطِيَّةُ وَلَا النَافِيَةُ وَمَنْ الْعَجَبُ أَنْ ابْنَ مَالِكٍ عَلَى إِمَامَتِهِ ذَكَرَهَا فِي شَرْحِ التَّسْهِيلِ مِنْ أَقْسَامِ إِلَّا))^(٣)

الذات باعتبار الدور الخطابية (المخاطب)

الذات الخارجية وهي الذات التي يصفها المخاطب بالبعض وهي ذات حقيقية إلا أنها خارج الخطاب لم يُعرَف بها وتكون مهمة على النوام، ويمكن للقارئ أن يقف عندها من خلال قولهم ((قال بعضهم)) أو ((جماعة من الفصحاء قالوا ذلك)) وقد تمثلت ذات المخاطب الخارجية في قول المبرد للذين حذفوا الهمزة دون علة، حيث قال

١ (كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١٧)

٢ (المصدر نفسه: ٣٣)

٣ (كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١٠٢)

((وَأَعْلَمُ أَنَّ قوماً من النحويين يَرَوْنَ بدل الهمزة من غير علة جائزاً فيجيزون قَرَيْتَ واجتَرَيْتَ في معنى قَرَأْتَ واجتَرَأْتَ وَهَذَا الْقَوْلُ لَا وَجْهَ لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِمَّنْ تَصَحَّ مَعْرِفَتُهُ وَلَا رِسْمَ لَهُ عِنْدَ الْعَرَبِ وَيُجِيزُ هَؤُلَاءِ حَذْفَ الهمزة لغير علة إلا الاستئصال وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الْفَسَادِ كَالْقَوْلِ الَّذِي قَبْلَهُ وَهُمْ يَقُولُونَ فِي جَمْعِ بَرِيٍّ الَّذِي هُوَ بَرَاءٌ عَلَى كَرِيمٍ وَكِرْمَاءٍ وَبِرَاءَةٍ عَلَى كَرِيمٍ وَكِرَامٍ فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفْنَا يَقُولُونَ بِرَاءَةً فَأَعْلَمُ فِيحذفون الهمزة من بَرَاءَةٍ وَيَقُولُونَ الهمزة حرف مستئصل فنحذفه لأنَّ فيما أبيننا دليلاً على ما ألقينا ويشبهون هَذَا بِفَاعِلٍ إِذَا قُلْتَ رَجُلٌ شَاكَ السَّلَاحَ وَلَيْسَ ذَا مِنْ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهُ مِنْ قَالَ شَاكَ السَّلَاحَ فَإِنَّمَا أُدْخِلَ أَلْفَ فَاعِلٍ وَبَعْدَهَا الْأَلْفَ الَّتِي فِي الْفِعْلِ الْمُنْقَلَبَةِ وَهِيَ عَيْنٌ فَتَحذف ألف فاعِلٍ لِاللتقاءِ السَّاكِنِينَ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ بَعْضُ النُّحَوِيِّينَ كَيْفَ تَقُولُونَ فِي مَضَارِعِ قَرَيْتَ...))^(١)

ومن ذوات المخاطب الذات المنطوق لها وهي التي تجرى على لسان المخاطب في الاصل، كأن يقول المخاطب: قال فلان كذا وكذا، فالمخاطب ينقل قول المخاطب بالنص كأننا نراه ونسمعه مثل ذلك ما ورد في خطاب السيوطي من نقله قول ابن مالك وابنه والفراء وابي حيان حيث قال: ((قَالَ ابْنُ مَالِكٍ وَيَجُوزُ فِي الْمُنْفِيِّ ب (لَا) الصَّالِحَ قَبْلَهَا (كِي) الرَّفْعَ وَالْجَزْمَ سَمَاعًا عَنِ الْعَرَبِ قَالَ ابْنُهُ فَقَوْلُ الْعَرَبِ (رَبَطْتَ الْفَرَسَ لَا تَنْقَلْتَ وَأَوْثَقْتَ الْعَبْدَ لَا يَفْرُ) حُكِيَ الْفَرَاءُ أَنَّ الْعَرَبَ تَرَفَعُ هَذَا وَتَجْزِمُهُ قَالَ وَإِنَّمَا جَزَمَ لِأَنَّ تَأْوِيلَهُ إِنْ لَمْ أَرْبِطْهُ فَجَزَمَ عَلَى التَّأْوِيلِ قَالَ أَبُو حَيَّانَ وَمَا ادْعِيَاهُ وَلَمْ

يُحْكِي فِيهِ خِلَافًا خَالِفًا فِيهِ الْخَلِيلُ وَسَيُؤَيِّهِ وَسَائِرُ الْبَصْرِيِّينَ وَفِي شَرْحِ الْجَمَلِ الصَّغِيرِ لِأَنَّ عَضْفُورَ أَجَازَ الْكُوفِيِّونَ جَزَمَهُ جَوَابًا لِلْفِعْلِ الْوَاجِبِ إِذَا كَانَ سَبَبًا لِلْمَجْزُومِ نَحْوَ زَيْدٍ يَأْتِي الْأَمِيرَ لَا يَقْطَعُ اللَّصَّ وَهَذَا عِنْدَنَا يَجِبُ رَفْعُهُ وَلَا يَجْزَمُ إِلَّا صَرُورَةً وَفِي كِتَابِ سَيَبَوَيْهِ سَأَلْتَهُ يَعْني الْخَلِيلَ عَنِ آتِي الْأَمِيرِ لَا يَقْطَعُ اللَّصَّ فَقَالَ الْجَزَاءُ هَا هُنَا خَطَأٌ لَا يَكُونُ الْجَزَاءُ أَبَدًا حَتَّى يَكُونَ الْكَلَامُ الْأَوَّلُ غَيْرَ وَاجِبٍ إِلَّا أَنْ يَضْطَرَّ الشَّاعِرُ وَلَا نَعْلَمُ هَذَا جَاءَ فِي الشُّعْرِ الْبَيْتَةِ ائْتَمَى^(١)

ذات الخطاب بشكلها وطبيعتها اللغوية تسعى الى تعديل موقعا باستمرار كونها منتجة ومفسرة وهذا الامر قائم على تفاعلها مع نفسها وطريقة تدوير الخطاب النحوي.

عناصر الذات في الخطاب النحوي

لا شك أنَّ وعي الذاتية في الخطاب اللغوي له مؤشرات لسانية تجعل الوجود اللفظي للمتكلم داخل خطابه ممكنا^(٢) عبر تحديد المؤشرات اللسانية، وهذا ما يقوم به محلل الخطاب.

الإشارات وهي ادوات لغوية تؤكد ذاتية المتكلم وبنائية المتلقي في الخطاب، وتقسم على:

أ - اسناد الفعل الى ضمير المخاطب (انا) ظاهرا أو مضمراً و ضمير المخاطب " أنت" أو الغائب " هو" أو ضمير الجماعة ، وفي هذه الاحوال تتقابل تلك الضمائر في الخطاب اللغوي لسببويه من حيث المسافة بعداً وقرباً، بحث تدل " التاء" في

١ (كتاب همع البوامع في شرح جمع البوامع : ٤٠٢ / ٢)

٢ (ينظر آليات الحجاج في الخطاب الادبي عند العقزلة، للدكتور ميلود نزار : ٢٨٧)

"سمعْتُ" أو "نا" في "سمعنا" أو "بلغنا" و "حدثنا" عن قرب المسافة بين طرفي الخطاب، وفي هذه الحال تتضح العلاقة التواصلية التقابلية على الرغم من أنَّ طرائقها تكون غير متساوية نتيجة الوضع التخاطبي وذاتية الخطاب التوجيهي لسببويه، أما "الواو" و "هو" فيمثلان مسافة كبيرة من حيث الزمن ، وفي هذه الحال تنتفي التقابلية والمعاينة في الخطاب.

أما "انت" يستعمل هذا الضمير في الخطاب اللغوي لأغراض عدة، منها رغبة من المخاطب بخلق وظائف تواصلية بين النوات المتكلمة، وتحديد دوره وتعيينه فضلا عن تعيين وسم العلاقة بين طرفي الخطاب ^(١)، أما "أنت" و"الكاف" في "لكَّ" و"عليكَّ" فنجدهما يتداخلان من الضمير "أنا" و"التاء" من قلتُ " حتى يتصور المخاطب أنَّ المخاطب، قد تجاوز حدود المسافة ، على الرغم من أنَّ المخاطب له الحقُّ في توجيه الخطاب الى الذات المنتزعة منه باستعمال الضمير المخاطب على اصل الوضع له.

الاشارات الشخصية

وهذا ما يتمثل بجملة من العلامات اللغوية ك اسماء الاشارة (هذا ، هؤلاء) دون غيرها في الخطاب النحوي أي أن الاشارات الشخصية تتشكل من طرف واحد من

(١) ينظر هذا المعنى في معجم تحليل الخطاب: ٣٤.

حيث الجنس ، والامر ينسحب الى الاسماء الموصولة (الذي ، الذين ، مَنْ) ، ومن المعلوم أن ذاتية الخطاب في هذا الموضوع من التوصيف لا تظر الا بتظافر منطوقات الخطاب بمعنى أنَّ الذاتية الخطابية هي نتاج علاقات اسنادية لمنشئ الخطاب والتعبير عمّا يريد أفهامه.

ت - " المقام الزماني والمكاني " من العناصر التكوينية التي تضاف الى الذاتية الخطاب النحوي ، كونها تفسح عن دور القائل والمخاطب وعلاقتها بموضوعة التواصل وموقفها، فراجع الاشارات في هذا الخطاب تكون غير ثابتة، والضابط لهذا الخطاب هو الضمير "انا" الذي يخبر عن اسناد القول الى قائله، فالقول شكل فارغ خارج التلفظ بالخطاب ولا يحمل أي معنى الا حين يياشر المخاطب بخطابه اللغوي ، وفي هذه الحال تتحد المرجعية والذاتية معاً^(١)، مثال ذلك خطابه في عدم جواز اضمار عامل الجر، قال: ((ولا يجوز أن يضم الجار ولكنهم لما ذكروه في أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل. وكان هذا عندهم أقوى إذا أضمرت "رب" ٠٠٠ ثم قال يونس: امرر على أيهم أفضل إن زيد وإن عمرو. يعني: إن مررت بزيد أو مررت بعمرو. واعلم أنه لا ينتصب شيء بعد إن ولا يرتفع إلا بفعل لأن إن من الحروف التي يبنى عليها الفعل وهي إن المجازاة وليست من الحروف التي يبتدأ بعدها الأسماء ليبنى عليها الأسماء. فإنما أراد بقوله: إن زيد وإن عمرو إن مررت بزيد أو مررت بعمرو

١ (ينظر آيات الحجاج في الخطاب الادبي عند المعتزلة، للدكتور ميلود نزار: ٢٨٩

فجرى الكلام على فعل آخر وانجر الاسم بالباء لأنه لا يصل إليه الفعل إلا بالباء كما أنه حين نصبه كان محمولاً على كان أخرى لا على الفعل الأول. ومن رأى الجر في هذا قال: مررت برجل إن زيد وإن عمرو يريد: إن كنت مررت بزيد أو كنت مررت بعمرو^(١)

تلاحظ لو أنك اقتطعت قول يونس بن حبيب عن سياقه الذي ورد فيه لم يكن شيئاً ولم يعلم المراد منه، ولكن حيناً أدخل في خطاب سيويوه الذي لزم المخاطب بعدم جواز حذف عامل الجر إلا في مواضع ورد فيها أولاً في كلامهم.

ومن الثابت أن يونس بن حبيب أبا عبد الرحمن الضبي (ت ١٨٢ هـ) من شيوخ سيويوه ومعاصريه في الزمان والمكان^(٢)، وكانت حلقة بالبصرة ينتابها الادباء وفصحاء الأعراب والبادية^(٣) قال سيويوه في باب النداء: ((اعلم أن النداء، كل اسم مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار فعل المتروك إظهاره، والمفرد رفع وهو موضع اسم منصوب))^(٤) نجد ذات الخطاب في هذا الموضع من البحث تواصلية وخطابية وهي مسؤولة عن الملفوظ، فضلاً عن كونها تواصلية في مقامها الزماني والمكاني، قال سيويوه: ((وزعم الخليل رحمه الله أنهم نصبوا المضاف نحو "يا عبد الله" و "يا أخانا" والنكرة حين قالوا: "يا رجلاً صالحاً" حين طال الكلام، كما نصبوا: "هو قبلك" وهو "بعدك". ورفعوا المفرد كما رفعوا "قبل" و"بعد" وموضعها واحد، وذلك

١ (الكتاب: ١ / ٣٢٢.

٢ (ينظر انباه الرواة على انباه النحاة: ٤ / ٦٨.

٣ (ينظر المصدر نفسه: ٤ / ٧٠.

٤ (الكتاب: ٢ / ١٨٤.

قولك: "يا زيدٌ" و "يا عمرو". وتركوا التنوين في المفرد كما تركوه في "قبلُ".^(١) لعلل متلقي هذا الخطاب بلحاظ عبارة سيبويه " رحمه الله " يقول إنَّ ذات الخطاب ليست تواصلية بل هي ذات لسانية، لكون الذات محكومة بمعطيات المقام التواصلية وعليه و هذه الحال أن تكون ذاتاً متواصلةً، لكن لو تتبعنا مسار الخطاب اللغوي لسيبويه لعلمنا ذات الخطاب كانت تواصلية في مقامها الزماني والمكاني إذ قال : ((قلت: أرايت قولهم : "يا زيدُ الطويلَ " علامَ نصبوا "الطويل"؟

قال: نُصِبَ لأنه صفةٌ منصوب. وقال: وإن شئتَ كان نصباً على " أعني".
فقلتُ: أرايتَ الرفعَ على أي شيء هو إذا قال: " يا زيدُ الطويلُ "؟
قال: هو صفةٌ لمرفوع.

قلت: ألسنتَ قد زعمتَ أن هذا المرفوع في موضع نصبٍ، فلمَ لا يكون كقوله: " لقيته
أميسَ الأحدثِ"؟

قال: من قبل أن كل اسم مفرد في النداء مرفوعٌ أبداً، وليس كل اسم في موضع
"أميس" يكون مجروراً، فلما اطرَدَ الرفعُ في كل مفرد في النداء، صار عندهم بمنزلة ما
يرتفع بالابتداء أو بالفعل، فجعلوا وصفه إذا كان مفرداً بمنزلة.

قلت: أفرأيتَ قول العرب كلهم:

زيدُ أخا ورقاءَ إن كنتَ تاعراً فقد عرضتَ أحناءَ حقٍ فخاصم

لأي شيء لم يجر فيه الرفعُ كما جاز في "الطويل"؟

قال: لأن المنادى إذا وُصف بالمضاف، فهو بمنزلة إذا كان في موضعه، ولو جاز هذا لقلتُ: " يا أخونا " تريد أن تجعله في موضع المفرد وهذا لحنٌ. فالمضاف إذا وُصف به المنادى، فهو بمنزلة إذا ناديته، لأنه هنا وُصفَ لمنادى في موضع نصبٍ، كما انتصب حيث كان منادى لأنه في موضع نصب، ولم يكن فيه ما كان في الطويل لطوله.

وقال الخليل رحمه الله: كأنهم لما أضافوا ردّوه الى الأصل. كقولك: "إن أمسك قد مضى".

وقال الخليل رحمه الله وسأله "عن يا زيد نفسه" و"يا تميم كلم" و"يا قيس كلمهم" فقال: هذا كله نصبٌ كقولك: "يا زيدُ ذا الجُمّة". وأما "يا تميمُ أجمعون" فأنته فيه بالخيار إن شئت قلت: "أجمعون" وإن شئت قلت: "أجمعين" ولا ينتصب على أعني من قبل أنه مُحال أن تقول "أعني أجمعين". ويدلُّك على أن "أجمعين" ينتصب لأنه وُصفَ لمنسوب قول يونس: المعنى في الرفع والنصب واحدٌ. وأما المضاف في الصفة فهو ينبغي له أن لا يكون إلا نصباً إذا كان المفردٌ ينتصب في الصفة.

قلتُ: رأيت قول العرب: "يا أخانا زيدا أقبل"

قال: عطفوه على هذا المنسوب فصار نصباً مثله وهو الأصل لأنه منصوب في موضع نصبٍ^(١) فضلاً عن ذلك هناك من يعتمد ظروف الزمان كإشارات زمانية "الآن ، غدا ، أمس، قبل اسبوع... الخ وظروف المكان " هنا ، داخل ، في مكان كذا"

لكننا في الخطاب النحوي واثناء عمليات التحليل لا نعول على هذه الاشارات لأنها لم تستعمل بوصفها منطوقاً معرباً عن ذاتية الخطاب ولا تشكل جزءاً من منظومات الاشارات عناصر الذات.

ث- افعال الجهة وهي الافعال التي تسند الى المخاطب وتعبّر عن موقف لغوية يتوخاه من محتوى تلفظه ومن هذه الافعال " ظن - افترض - اعتقد-..." وهذه التعبيرات تمثل مجموعة من مواقف المتكلم (الموقف الذاتي الخطابي) الذي تبرزه العلاقة الاسنادية ومحتوى التلفظ⁽¹⁾، وهذا كثير في كتب المطولات النحوية، ويمكن الرجوع اليه والاطمئنان له.

-التقسيمات والتقديرية وهذا ما يتمثل في اختيارات المصطلح ، انتقاء المعلومة ، وفي ذلك علينا الرجوع الى امرين في هذا الامر
أ- مراجعة الروايات اللغوية -

ب- توخي الترتيب في عرض الظاهر اللغوية بشكل سليم لا لبس فيه ، بدءاً في اختيار المصطلح (او اصل الباب اللغوي) ومن ثم انتقاء المعلومة اللغوية التي تنسجم والاصل اللغوي المراد بيانه وفي ذلك رجوع الى " الرواية اللغوية".

١ (ينظر آليات الحجاج في الخطاب الادبي عند المعزلة، للدكتور ميلود نزار : ٢٨٧.

الفصل الرابع التأدب في الخطاب النحوي

حدّث محمد بن عبد الله بن طهان قال: سمعت والله الفراء يجيى يقول: مدحني رجل من النحويين فقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في العلم. قال: فالتجبتني نفسي. قال: فناظرته وسأله، فكأنني كنت طائرا يعرف من بحر.

التأدب ظاهرة لغوية اجتماعية، وسلوك لغوي مهذب في ضوء علاقة تخاطبيه، تتأسس على رغبة حقيقية بين طرفي الخطاب على أن يكون احدهما لطيفاً مع الآخرين، وهو دافع أساسي لسلوك الفرد اللغوي لا يمكن الوصول إليه الا من خلال تحفيز المخاطب على أن يكون مهذباً أكثر أو أقل مع المخاطب، وفي هذه الحال لا بد من أن يُرعى مستوى العلاقة الاجتماعية بين المحاورين وهذا ما تفسح عنه المنطوقات المستعملة في الحوار، على الرغم من أن هذه العلاقة الاجتماعية لا يمكن أن تخضع للتقييم خارج حدود اللغة الا بمعرفة قيم ومعايير المجتمع الذي اسهم في نتاج هذا الخطاب .

ولاشك أن التأدب يرتبط بشكل مباشر بذات الخطاب ، لأننا ندرك أنّ هذا الخطاب قائم على علاقة تخاطبية وهذه العلاقة لا تكون الا من طرفين " مخاطب و مخاطب " حقيقيين وفي هذه الجزئية من القول نجد بأنّ ذات المخاطب هي من تسعى الى التأسيس لهذه العلاقة التفاعلية الاجتماعية لأنها ستنهض بأدوار مختلفة لإنجاح العملية التواصلية بين طرفي الخطاب.

والتأدب موقف ايجابي يصدر عن متكلم حقيقي، تمثله منطوقات خاصة تشكلت مع متواليات الخطاب اللغوي المكتوب، على أنّ يأتي صاحب الخطاب بفعل القول على الوجه الذي تُبرز به دلالته القرينة ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به ⁽¹⁾، ولا يظهر

للمحلل اللغوي الا بالنظر في السياق الكلي للخطاب، بوصفه رابطاً اجتماعياً تفاعلياً بين النوات يسعى طرفاً الخطاب الى حفاظ عرى التواصل بينهما، لان التأدب بوصفه ظاهرة اجتماعية تفاعلية يوظف في ضبط الحوار بقصد من طرفيه أو احدهما لإعطاء مظهر خطابي فيه شيء من الاحترام والتهذيب، وهذا الامر له اثره في الكشف عن دلالات الخطاب واثرها في الفاعل الحاصل بين طرفي الخطاب من خلال الاشارات الاجتماعية اللفظية التي "تشير الى علاقات اجتماعية بين المتكلمين من حيث هي علاقة ألفة أو علاقة رسمية"^(١)

والتأدب في الخطاب اللغوي جيء به الى امرين :

الامر الاول: سعي طرفا الخطاب الى ديمومة العملية التواصلية والوصول بها الى غاياتها، وهذا الامر قائم على تبادل الحوار لتحقيق اقصى غايات الانتفاع به والوصول الى المعرفة اللغوية التي يطلبانها.

الامر الثاني: اعتماد احد طرفي الخطاب مبدأ التعويض لما عجز عن الاتيان بما تمثل به صاحبه ، لذلك نجد احدهما قد يكون اشدَّ حرصاً

على أن يكون متواصلاً حتى يصل بصاحبه الى المنفعة اللغوية المشتركة.

والمخاطب والمخاطب وما يقومان به من تبادل للأدوار و الاقبال على بعضهما، فإنَّ ذلك أحسن في الادب، كونهما يحسنان الاستماع الى بعضهما، ونحن في هذه الحال ولا سيما في المناظرات اللغوية نجد احد طرفي الخطاب يحسن الاستماع لصاحبه

(١) المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب: ٨٧

عملاً بمبدأ التعويض لأنّ في ذلك إبانةً للمسموع وطمعاً في بيان فساده، فيكون خطابُ الآخر عوناً له في كشف عورات الخطاب " وعلى هذا، يكون الداعي إلى التأدب في الكلام هو قضاء المصالح والفوز بالخدمات"^(١).

وإذا ما عدنا إلى ذات الخطاب " المخاطب و المخاطب " نجدها ذات حقيقية مقابلة، ولا يمكن أن تكون ذاتاً منتزعة افتراضية، والنوات في هذه الحال اما أن تكون متساوية في الرتبة، وحسب تصنيف " ليتش " للعلاقات بين ذوات الخطاب، يعرف هذا الصنف بـ "الصنف الاقفي الذي يتحدد على اساسه... معيار التضامنية كبعد اجتماعي"^(٢) وهذا التصنيف يكون أكثر وضوحاً بين اللغويين والنحويين على اختلاف منازلهم ومشاربهم، أما الصنف الآخر فيعرف بالصنف العمودي ومحوره السلطة^(٣) والامر في ذا ينقسم على قسمين ذات المخاطب التي تمتلك السمة والرفعة ك ذات الخليفة والامير والشيخ " اللغوي - النحوي " ويقابلها " من النحويين واللغويين وتلاميذهم وحسب الترسمة الآتية:

١ (ينظر اللسان والميزان : ٢٢٣ .

٢ (استراتيجيات الخطاب : ٢٥٦ .

٣ (ينظر المصدر نفسه : ٢٥٦

ذات الخليفة أو الامير	ذات المخاطب	←	نحوي أو لغوي	ذات المخاطب
محور السلطة			الرسالة اللغوية	
من شيوخ اللغة والنحو			من عامة النحويين او احد تلاميذ اللغوي والنحوي	
		←		

التصنيف العمودي (محور السلطة)

ومن هنا نجد المخاطب يعتمد مبدأ التأدب للوصول الى هذه النوات، اما القسم الآخر فتكون ذات المخاطب محور السلطة وعلى الرغم من أن المخاطب يمتلك السلطة ومن حقه أن يؤكد على رغبته في ابقاء الفرق بينهما الا أنه قد يرغب في التضامن مع المخاطب أي أن المخاطب يسعى الى تأسيس علاقة بسيطة مع المخاطب " بالتلفظ بالخطاب، بأن يتقرب من المرسل اليه، بما يجعله واثقا بأن المرسل يميل اليه ميلاً طبيعياً خالياً من أي دوافع أو اغراض منفعية. وهذا هو عين التأدب في وما زلنا في ذات الخطاب، قلنا في ما تقدم أن الخطاب قائم على علاقة تخاطبية بين طرفين أو أكثر، وهذا يعني أن المشاركين في الخطاب النحوي يمكنهم أن يكونوا اثنين

أو أكثر من ذلك وهم قرييون في الزمان والمكان وبينهم علاقة ألفة وأنس^(١) فالطرف الاول " المخاطب - المرسل - المتكلم " يكون آحاداً والطرف الثاني - المقابل " المخاطب - المرسل اليه - المتلقي " يكون آحاداً ومتعددأ، وفي هذه الحال يكون الطرف الاول ذاتاً واحدة لا تلتبس بالطرف الثاني، والذات المخاطب في ضوء مبدأ التأدب تعرف بـ "الذات المتأدبة" وتأتي في مرتبة اعلى من مراتب الذات القائلة " المتواصلة" التي تنقسم وبفعل ظاهر الاقوال وبواطنها الى " ذات ناقلة" وهي ذات ساكنة تعمل على ظاهر الاشياء و " ذات مبلغة" وهي الذات تنعم النظر في بواطن الاقوال. فالذات المتأدبة " هي الذات التي لا تجاوز بفعل القول حد عاجل الانتفاع به تحقيقاً لغرض أو طلباً لغرض"^(٢)

وعلى هذا الاساس يقتضي مبدأ التأدب النظر في ما قدمه بعض الباحثين الغربيين للإفادة منه في تحليل الخطاب النحوي، لأنّ تحليل الخطاب في هذه الحال يذهب بنا الى دراسة العلاقات التي تقوم عبر التفاعل بين المشاركين بالنظر الى درجة الحميمة أو العدوانية^(٣)

١) ينظر مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٣٢.

٢) اللسان والميزان : ٢٢٤.

٣) ينظر مصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٣٣.

قواعد التأدب لروبين لايكوف والخطاب النحوي:

دعت روبين لايكوف في مقالتها " منطق التأدب " The Logic of Politeness " الى اعتماد قواعد التهذيب أثناء التخاطب، وفي ضوء ذلك يلتزم طرفا الخطاب بضوابطه لحظة دخولهما في الحوار، وهو في هذه الحال يشكل ضابطة من ضوابط التبليغ.

وفي الحال النظر في قواعد هذا المبدأ نجد له حضوراً في الخطاب النحوي مما يعزز وظيفته الخطائية ويقوي أسباب الانتفاع به.

قاعدة التعقّف ، وهذا يعني أنّ المخاطب لا يفرض نفسه على المخاطب، وتحصيله أنّ يكون المخاطب ملتزماً لمقاصد الخطاب، ومجتهداً في التوسل بما يجلب اقبال المخاطب على سماعه وفهم مراده وتلقيه له بالقبول^(١).

ومن الممكن لمحلل الخطاب في ضوء هذا المبدأ الخطائي أن يبين مقاصده من خلال خرق هذه القاعدة، لأننا نجد احد طرفي الخطاب من يجعل موضع صاحبه موضع احترام وتقدير، ويسعى الى تبليغ أغراضه، وهناك من لا يظهر اي درجة من الحمية والمقبولية ويتسم خطابه بمستوى التأدب المنخفض، ولبيان ذلك سنسعى الى تحليل

ما نقل لنا من خطاب لغوي يكشف لنا التفاعل بين المتحاورين بالنظر حفظ عري التواصل بينهما.

قال القفطي : ((وحكى ابن رواحة البروجردى قال: زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائرا لعيسى بن ماهان، فأول ما دخل إليه وقضى سلامه قال له: أيها الشيخ، ما الشاة المخبّمة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها؟ فقال: هي الشاة القليلة اللبن مثل اللّجة .

فقال: هل من شاهد؟ فقال: نعم، قول الراجز:

لم يبق من آل الجعيد نسمة
إلا عنيز لجة مخبّمة

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوريّ، فأذن له، فلما دخل، قال له عيسى ابن ماهان: ما الشاة المخبّمة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها؟ فقال: هي التي جثّمت على ركباتها ونحرت من قفاها.

فقال: كيف تقول وهذا شيخ العراق- يعنى أبا العباس المبرد- يقول: هي مثل اللّجة، وهي القليلة اللبن، وأنشد البيتين.

فقال أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير، وإن كان البيتان إلا لساعتها هذه.

فقال أبو العباس المبرد: صدق الشيخ أبو حنيفة، أنفت أن أرد عليك من العراق، وذكرى ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه. فاستحسن منه هذا الإقرار وترك البهت^(١)

عند النظر في هذا الخطاب اللغوي الذي دار بين المتحاورين حول معرفة دلالة لفظ ورد في قول الرسول " صل الله عليه وآله وسلم" يلحظ أنّ المخاطب " احمد بن عيسى بن ماهان أبا جَعْفَر الرّازي^(٢) " كان على درجة عالية من التأدب كونه يمتلك صفة العلماء والنفس الواعية، وعملاً بقاعدة التعفف بعدم فرض نفسه على المبرد أبي العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ)، والمبرد قيل ذلك اقبل على احمد بن عيسى وسلم عليه واحسن الادب والاستماع له، فخطب المبرد بقوله: أيها الشيخ، مراعاة قواعد التأدب وقصد منه الى الانخراط في التواصل والتفاعل الكلامي ، والا مر الاخر حصر القول في طلب معرفة حد اللفظ وهو بذلك يمنع ما ليس منه أن يدخل فيه^(٣) ، فقال له: ما الشاة المجتمة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها؟ بدأ احمد بن عيسى بن ماهان بالسؤال بعد أن راعى مرتبة المخاطب من نفسه، والمبرد شيخ العراق على حد قوله وإمام النحاة في زمانه، فلجأ الى مبدأ التأدب لكي يحصل على جملة من المنافع التواصلية كتعزيز علاقة الألفة والانسجام بينهما.

(١) إنباه الرواة على أنباء النحاة : ٤٣/١ - ٤٤

(٢) لقد اختلط الامر على القفطي في عيسى بن ماهان وابنه احمد بن عيسى ، لان عيسى قد توفي قبل ولادة ابي العباس يزيد بن محمد المبرد بعشرين سنة ، فكيف يجالسه ويأخذ عنه؟ ف عيسى بن ماهان عالم براوية الحديث يُقال: إِنَّهُ وُلِدَ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ يَنْجُرُ إِلَى الرَّيِّ، وَيُقِيمُ بِهِ. وَوُلِدَ فِي حُدُودِ التَّمْسَعِينَ، فِي حَيَاةِ بَقَايَا الصَّحَابَةِ. حَدَّثَ عَنْ: عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَعَمْرٍو بْنِ دِينَارٍ، وَقَتَادَةَ، وَالزُّبَيْعِ بْنِ أَنَسٍ، وَجَمَاعَةٍ. تُوُفِّيَ: سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةً.

(٣) المنهاج في ترتيب الحجاج : ١٠.

وبعد هذا السؤال فترض أن المبرد سيقف عند حدود تلك اللفظة " المجتممة"، وهذا الافتراض مرده الى امرين: الاول كونه علماً باللغة والنحو وهو من علماء البصرة وشيوخها، والامر الاخر كون هذه اللفظة قد وردت في حديث عن الرسول صل الله عليه وآله وسلم.

فقال المبرد : هي الشاة القليلة اللبن مثل اللجة.

في هذا الجواب خرق المبرد مبدأ التأدب لأنه تكلم عن شيء لم يقع له العلم به، وحينما طُلب منه شاهدٌ على ما قال. استدل بدليل لم يقف عليه من قبل، بل جاء به من ساعته، لذلك يحق القول بأن خصمه قد ظفر به وبين انقطاعه عن الجواب الصحيح في حال ظننا أن ابن ماهان كان عارفاً بالجواب مختبراً للمبرد.

الى هذه الحد من الخطاب لم يفرض احمد بن ماهان نفسه على المبرد، وربما تقبل منه هذا التفسير الذي جاء به شيخ العراق، لكن الامر لم ينته حينما جاء حاجبه يستأذن لأبي حنيفة الدينوري بالدخل الى مجلسه ، فأذن له.

فلما دخل ابو حنيفة قال له ابن ماهان: ما الشاة المجتممة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكلها؟

هنا خرق ابن ماهان مبدأ التأدب حينما أعاد السؤال نفسه على ابي حنيفة وبحضرة المبرد، إذ لم يحترم ابن ماهان جواب المبرد ولم يقنع به، وهو بهذا العمل هدد وجه المخاطب⁽¹⁾ وفي ذلك خروج عن هذا المبدأ ولم يصن وجه غيره.

(١) ينظر مبدأ التواضع لـ " براون ووليفنسون"

فقال ابو حنيفة: هي التي جئمت على ركباتها ونحرت من قفاها.

قال ابن ماهان: كيف تقول وهذا شيخ العراق يقول...

في ضوء هذا الحوار ودخول ابو حنيفة الى المجلس نذكر بأنه لم يعلم ما كان من كلام بين ابن ماهان والمبرد، لذلك لم يعلم أبو حنيفة بجواب المبرد ولم يُرد أن يخطئه، ومن هنا ذهب أبو حنيفة الى ترميم علاقة التواصل بين طرفي الخطاب، لان ما فعله ابن ماهان في طرح السؤال على المبرد تارة وعلى ابي حنيفة تارة اخرى فيه من التهديد لوجه المبرد، وربما تسبب طرح السؤال مرة ثانية على إبي حنيفة في اهانة للمبرد وسبب حرجاً له.

فقال ابو حنيفة : أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة إن كان هذا الشيخ سمع هذا التفسير، وإن كان البيتان إلا لساعتها هذه.

هنا استحلف ابو حنيفة على العهد بأن المبرد قد سمع هذا التفسير ممن فسر هذه اللفظة، وهو في هذه الحال لم يفرض نفسه على المبرد وتقبل ما قاله المبرد، اما ما استشهد به من الشعر فيرى انها قد قيلت لساعتها اي جاء بها المبرد ولم يسمعها من قبل.

إنّ الذي تقدم من القول قد يتحقق للقارئ في ما قاله المبرد في نهاية هذا الحوار مخاطباً ابن ماهان، قال: صدق الشيخ أبو حنيفة، أنفت أن أرد عليك من العراق، وذكرى ما قد شاع، فأؤل ما تسألني عنه لا أعرفه.

قاعدة التشكك

تلزم المخاطب أن يجعل مخاطبه يختار بنفسه، أي يفسح مجالَ الخيارِ امامه. قال ثعلب: ((دخلت يوما إلى محمد بن عبد الله بن طاهر وعنده أبو العباس محمد بن يزيد- وكان محمد بن عيسى وصفه له- فلما قعدت، قال لي محمد بن عبد الله: ما تقول في بيت امرئ القيس:

له متتان خطاتا كما ... أكبّ على ساعديه التمر

قال ثعلب: فقلت يقال: خطابضا، إذا كان صلبا مكتنزا، وصف فرساء وقوله: "كما أكبّ" أي في صلابته ساعد التمر إذا اعتمد على يده، والمثنى: الطريقة الممتدة عن يمين الصلب وشماله. فيه من العربية أنه قال: خطتا، فلما تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة^(١).

قال: فأقبل محمد بن عبد الله بوجهه على محمد بن يزيد، فقال له: أعز الله الأمير! إنما أراد في «خطاتا» الإضافة؛ أضاف خطاتا إلى «كما». فقلت له: ما قال هذا أحد.

(١) يقول ابن يعيش في شرح المفصل: "أراد "خطاتان"، فحذف النون للضرورة، وهو رأي الفراء. وبعضهم يقول: أراد: "خطتا"، من قولهم: "خطا اللحم"، أي: اكتنز، وكثر. والأصل في "خطت": "خطت"، وإنما حذفت الألف لالتقاء الساكنين: سكونها وسكون التاء بعدها. فلما تحركت للحاق ألف الضمير بعدها، أعادوا الألف الساقطة ضرورة": ١٥١/٥، يقال إن رأري المبرد والفراء هو أن "خطاتا" أصله "خطاتان" اسم مع فارق يسير، هو أن "النون: قد حذفت من الثني للاضافة إلى "كما" عند المبرد وللضرورة النظم عند الفراء، أما الكسائي وثلعب فقد ذهبوا إلى أن "خطاتا" فعل أصله "خطتا" كـ "غزتا" إلا أن " الألف" التي كانت ساقطة باجتماع الساكنين في الواحد قد رُدت بتحريك التاء، وسوغ ذلك ضرورة النظم. ينظر المناظرات النحوية والصرفية، نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري، لدكتور اسامه رشيد الصغار: ٢٣٣.

فقال محمد بن يزيد: بل سيويوه يقواه، فقلت لمحمد بن عبد الله: لا والله، ما قال هذا سيويوه قطّ، وهذا كتابه فليحضر، ثم أقبلت على محمد بن عبد الله؛ فقلت: ما حاجتنا إلى كتاب سيويوه! أيقال: مررت بالزيدين صديقي عمرو، فيضاف نعت الشيء إلى غيره؟ فقال محمد بن عبد الله- بصحة طبعه: لا، والله ما يقال هذا- ونظر إلى محمد بن يزيد- فأمسك ولم يقل شيئاً. وقت، ونهض المجلس...

والقول ما قاله المبرد، وإنما ترك الجواب أدبا مع محمد بن عبد الله بن طاهر لما تعجّل اليمين وحلف: لا يقال هذا. وهذا مما يدلّك على أنّ المبرد كان خبيراً بمجالسة الأجلء والخلفاء والملوك وآداب صحبتهم.))⁽¹⁾.

في هذا النص خرق واضح لقاعدة التشكك والاختيار لأن ثعلباً لم يسمح للمبرد وبحضرة محمد بن عبد الله أن يختار بنفسه ما يستدل من كتاب سيويوه لتبيان هذا المشكل النحوي، بل قطع الطريق امامه بعدما قال: هذا الكتاب فليحضر، ثم أقبل على الامير وقال له: ما حاجتنا الى كتاب سيويوه، وهنا المبرد قد التزم قواعد التأدب لأنّ احمد بن يحيى والامير يمثلان محور السلطة في هذا الخطاب وبخطابها قطعاً الطريق عليه ولم يصل الى ما يريد تبيانه لهم.

قاعدة التودد

هو ان تجعل المخاطب يشعر بالراحة والأطمأن من خلال اظهارك الود والاحترام له، والتودد يعد من اهم القواعد الرئيسة والاساسية في مقترح لايكوف "ومما لاشك فيه أن الباحثة الفرنسية قد قدمت بهذا المنطق إضافة لافتة ومُغرية في مجال الدراسات اللسانية التداولية الحديثة. فهي قد جعلت مبدأ التأدب مبدأً خطابياً رئيساً جامعاً يضاف إلى مبادئ غرايس في الخطاب. ولقد قامت بعرض مُبسّط لهذا المبدأ، حتى تؤكد أنّ وجوده من شأنه التوسيع في مبادئ الخطاب التي لم تعد مُقتصرة على الجانب اللفظي فقط."^(١)

عن أبي عبيدة عن يونس بن حبيب قال : " كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه شيبيل بن عزرة الضبعيّ ، فقام إليه أبو عمرو فألقى له لبد بغلته ، فجلس عليه ، ثم اقبل يحدثه . فقال شيبيل : يا أبا عمرو ، سألت رؤيتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه ، قال يونس : فلم أملك نفسي عند ذكره لرؤية ، فرحفت إليه ثم قلت : لعلك تظن أنّ معدّ بن عدنان كان أفصح من رؤية ومن أبيه ! فأنا غلام رؤية ، فما الرؤية ، والرؤية والرؤية ، والرؤية والرؤية ؟ فلم يُجر جواباً ، وقام مُغضباً ، فاقبل عليّ ابو عمرو وقال : هذا رجل شريف ، يقصد مجلسنا ، ويقضي حقوقنا ، وقد أسأت فيما واجهته به ،

(١) التآدب مبدأً خطابياً لعبد الستار الجامعي ، مجلة الكلمة العدد ١٣٤ يونيو ٢٠١٨ .

فقلت له: لم املك نفسي عند ذكره رؤبة، فقال له ابو عمرو: أو سُلِطْتَ على تقويم الناس! " (١).

نلاحظ أنّ ابا عمرو بن علاء كيف قرب شيبيل بن عزرة الضبيعي اليه وادناه من مجلسه، وراح يحدّثه وفي هذا اظهر له جلّ احترامه وكبير منزلته عنده، وعندما غضب شيبيل بن عزرة من يونس ومقاتله التي لم تحفظ وجه المخاطب، نجد ابا عمرو بن العلاء ينتصر لهذا الرجل ويصفه بالشريف، ويبين إساءة يونس له، على الرغم من أنّ شيبيل بن عزرة أول من خرق مبدأ التأدب حينما قال لابي عمرو بن العلاء: سألت رؤيتكم هذا. بتحقيق الاسم لتحقيه المسمى ثم وإنه لم يعرف إسمه.

عن أبي الأسود أنّه "لقي ابن صديق له فقال له: ما فعل أبوك، قال: أخذته الحمى ففضخته فضخاً وطبخته طبخاً ورضخته رضخاً فتركته فرخاً، قال أبو الأسود: فما فعلت امرأته التي كانت تزاره وتماره وتشاره وتضاره، قال: طلقها وتزوج غيرها فخطبت عنده ورضيت وبظيت، قال أبو الأسود: فما معنى بظيت؟ قال: حرف من اللغة لم تدر من أي بيض خرج ولا في أي عش درج، قال: يا ابن أخي لا خير لك فيما لم أدر." (٢) في هذا الحوار نلاحظ أنّ ابا الاسود الدؤلي على كبير قدره كيف يحاور هذا الصبي ويتقرب اليه وسأله عن حرف لم يقع له من قبل، وعندما سمع منه أنّه لا يعلم ما يقول

(١) طبقات النحويين واللغويين: ٥٢، وينظر مراتب النحويين: ٣٤ - ٣٥، ثم فسر يونس فقال: الرؤبة: الحاجة، يقال: فلان يقوم بروبة أهله أي بحاجتهم، والرؤبة: جمام الفحل، يقال: أعطني روبة فحل. والرؤبة: القطعة من الليل نحو الساعة، يقال: مضت روبة من الليل. والرؤبة: القطعة من اللبن الحامض يروّب به الحليب. والرؤبة (بالهمز): القطعة من الخشب يرأب به القعب، وبه سمي الرجل روبة.

(٢) اخبار النحويين البصريين: ١٥

ولم يعرف حده، فخطبه ابو الاسود " يا ابن اخي " لكي يطمأن الصبي الى ما سيقول له عمه الشيخ : لا خير لك فيما لا أدري، بمعنى ترفع عن ذلك الذي لا تعرفه من اللغة.

مبدأ التواجه عند براون وولفينسون والخطاب النحوي:

قصدا براون وولفينسون الى ضبط علاقة التواجه بين طرفي الخطاب، ونجد أنّ مبدأ التأدب عندهما يقوم على مفهومين اساسيين، هما : مفهوم "الوجه"، ويراد به أن يحفظ المتكلم وجهه غيره أثناء الحوار وهذا الامر واجب على من يتوجه لصاحبه بالخطاب، لأنّ صيانة وجه مخاطبه صيانة لوجهه، وهذا ما يمثّل في تهذيب الصياغة اللغوية نسبيا والتي تكون من أولويات المخاطب مع ربطها بالمجهود الذي يبذله لصون وجه المحاور^(١) وهو في هذه الحال يسعى الى ارضاء متطلبات وجه المستمع^(٢)

ونمثل ذلك في الخطاب الذي دار بين يحيى ابن يعمر والحجاج بن يوسف الثقفي، عن يونس بن حبيب قال: " قال الحجاج لابن يعمر: أ تسمعني أ لحن على المنبر؟ قال : الامير افصح من ذلك. فألح عليه، فقال: حرفاً، قال : أيا؟ قال : في القران. قال الحجاج: ذلك أشنع له، فما هو؟ قال: تقول: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ سورة التوبة/ ٢٤. الى قوله عز وجل : (أَحَبُّ) -

(١) ينظر المصدر: ٥٠٧

(٢) ينظر المصدر نفسه: ٥٠٧

فتقرؤها (أحب) بالرفع، والوجه بالنصب على خير كان، قال: لا جرم! لا تسمع لي لجنأ أبداً" (١).

هنا حاول ابن يعمر أن يعمل على صيانة وجه الحجاج كونه فصيحاً، إلا أن الحجاج في رواية أخرى أنه قال لابن يعمر: "عزمتُ عليك لتخبرني" وكانوا يعظمون عزائم الامراء" (٢) فاخبره أنه لم يلحن إلا في حرف واحد على المنبر، والحجاج في هذا الحوار هو الآخر عمل على صيانة وجه ابن يعمر من خلال الاستدراج في الخطاب وهذا ما تم بطرح الاسئلة المتوالية والغزيم عليه، حتى جعل ابن عمر يصدقه القول ويفصل فيه ويبين علة اللحن، ونحن نعلم ومن خلال الروايات التاريخية أن الحجاج لم يصن وجه امرئ قط، لذلك في نهاية الحوار قال له: لا تسمع لي لجنأ أبداً، فقبل بعد هذه الحادثة امر به، فألحقه بجُراسان وعليها يزيد بن المهلب. (٣)

وقد قسم الوجه على قسمين: الاول يعرف بـ الوجه الدافع، وهذا ما يتمثل برغبة المخاطب في أن لا يعترض الآخرون على ما يصدر عنه

من فعل لغوي، ونلاحظ هذا الامر في ما روي عن محمد بن سلام الجهمي قال: "حدثني بعض كتبة الفضل بن الربيع قال: كتنا عند الفضل بن الربيع (٤) وعنده أبو عبيدة، فسأله عن قل عمر بن الخطاب للمؤذن - وهو أبو محذورة: أما خشيت أن

(١) طبقات النحويين واللغويين: ٢٨

(٢) ينظر أخبار النحويين البصريين: ١٨

(٣) ينظر المصدر نفسه: ٢٨

(٤) هو الفضل بن الربيع بن يونس، ولي للرشيد الوزارة بعد تكتية البرامكة إلى أن مات الرشيد، واستخلف الأمين فأقره في وزارته، وعمل على مقاومة المأمون فلما ظفر المأمون بأخيه استقر الفضل زماناً، ثم عفا عنه المأمون وأهمله بقية حياته، وتوفي بطوس سنة ٢٠٨ هـ. (ينظر طبقات الاعيان ابن خلكان

(٤١٢/١).

ينشق مريطاؤك؟ أيقصر أم يمدّ؟ فقال - أبو عبيدة: يمدّ، فقال عليّ الأحمر^(١) - وكان حاضرا: بل يقصر؛ فقال له أبو عبيدة: وما يدريك يا مذبذب! ودخل الأصمعيّ، فسأله عن ذلك، فقال مثل قول أبي عبيدة؛ فقال الأحمر: بل يقصر؛ فقال له الفضل بن الربيع: اسكت، فإنك لا تكوّن مع إجماع هذين خلافا!^(٢)

نجد ابا عبيدة يجيب الفضل بن الربيع ويرد على اعتراض علي الاحمر الكوفي الذي تكرر في أكثر من موضع، حتى وصفه بـ "المتردد"، ثم يأتي الاصمعي بقول ابي عبيدة، ويقوي من وجهه حتى نلاحظ قوته جعلت من الفضل بن الربيع أن يطلب من علي بن الاحمر السكوت والاقرار بما قاله ابو عبيدة.

اما الوجه الجالب فهو رغبة طرفي الخطاب في أن تكون إرادتهما محترمة ومقبولة عندهما. ومثل لذلك في ما روي عن جمع أبن طاهر للمبرد وثعلب، "إذ يحكى أن بعض أكبر اولاد طاهر سأل ابا العباس ثعلباً أن يكتب له مصحفا على مذهب اهل التحقيق، فكتب " والضحي" بالياء— ومن مذهب الكوفيين أنه اذا كان أول الكلمة من هذا النحو ضمة أو كسرة كتبت بالياء، وإن كان من ذوات الواو، والبصريون يكتبون بالألف — فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال: ينبغي أن يكتب " والضحي" بالألف، لأنه من ذوات الواو، فجمع ابن طاهر بينهما، فقال المبرد لثعلب: لم كتبت " والضحي" بالياء؟ فقال: لضم أوله. فقال له: ولم إذن تضم أوله وهو من ذوات الواو وتكتبه بالياء؟ فقال: لان الضمة تشبه الواو، وما أوله واو يكون آخره ياء، فتوهما أن

(١) هو عليّ بن الحسن الكوفي المعروف بالأحمر، صاحب الكسائي، ينظر بغية الوعاء للسيوطي: ٢ / ١٥٨.

(٢) مراتب النحويين: ٦٧-٦٨.

أوله واو. فقال ابو العباس المبرّد: أفلا يزول هذا التوهم الى يوم القيامة!"^(١)، نلاحظ أنّ طرفي الخطاب يسعيان الى احترام ارادتهما من الاخر وقبول ما انتهى اليه من القول. اما المفهوم الاخر فيعرف بـ " التهديد " وهذا نابع من طبيعية الافعال الكلامية التي تهدد الوجه وتؤثر فيه، وقد صنفت هذه الافعال على صنفين، الاول الافعال التي تهدد المرسل اليه، اي أنّنا نجد المخاطب لا يحترم المخاطب، وهو في هذه الحال يطلب من المخاطب انجاز بعض الافعال اللغوية التي تشكل ضغطاً وربما انقطاع عرى التوصل بينهما، وتمثيل ذلك، عن ابن السراج " قال : قال المبرد : اخبرني أبو عثمان المازني أن مروان ابن سعيد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة، سأل الكسائي بحضرة يونس : أي شيء يشبه " أي " من الكلام ؟ فقال : ما ومن. فقال له: فكيف تقول لأضرين من في الدار؟ قال : لأضرين من في الدار. قال كيف تقول : لأركبن ما تركب؟ قال: لأركبن ما تركب. قال: فكيف تقول: ضربت من في الدار؟ قال : ضربت من في الدار. قال فكيف تقول: ركبت ما ركبت؟ قال: ركبت ما ركبت، قال كيف تقول: لأضرين أيهم في الدار؟ قال: لأضرين أيهم في الدار. قال كيف تقول: ضربت أيهم في الدار؟ قال : لا يجوز. قال : لم؟ قال: أي كذا خلقت.

قال : فغضب يونس وقال: تؤذون جلسنا ومؤدب امير المؤمنين"^(٢)

(١) نزهة الالباء في طبقات الادباء : ١٩٨-١٩٩

(٢) اخبار النحويين البصريين: ٢٧-٢٨

نلاحظ أنّ مروان بن سعيد في ما طرحه من تلك الافعال تنم عن عدم احترامه للكسائي على الرغم من أن الكسائي قد سعى الى انجاز ما طلب منه من تلك الاقتراحات التي عرضها عليه مروان بن سعيد، ولما احس يونس بن حبيب ذلك غضب من افعال مروان وسعى الى حفظ وجه الكسائي وصيائته.

واذا ما ذهبنا الى الافعال التي تعبر عن حرص المخاطب الحصول على فعل ما، فنجد ثعلباً يقول: " دخلتُ على يعقوب بن السكّيت ، وهو يعمل بعض كتبه، فسألني عن شيء من الاعراب، فتكلمتُ فيه، فلم يقع له فهمه، فصحتُ، فقال: لا تصح، فإنما أريد أن أتعلم، فستحيث"^(١)، هنا نلاحظ ابن السكيت يطمع في ما عند ثعلب من الاعراب، الان أنّ ثعلباً لم يصن وجه ابن السكيت فصاح به لانه قصّر عن بلوغ الغاية من الخطاب ولم يقع له ما قال به ثعلب، فقال له: لا تصح فإنما أريد أن أتعلم. وهذا ما جعل ثعلباً يتراجع ويستحي من فعله الذي هتك به وجه مخاطبه.

ومن ذلك ما دار بين أبي عمرو بن العلاء وأبي حنيفة الثّمان بن ثابت، سأله ابو عمرو، " عن رجل ضرب رأس آخر بصخرة عظيمة، لا ينجو منها من ضرب بها، فقال: لا قود عليه، ولو ضرب رأسه بـ"أبا قيس" فقال له أبو عمرو: هذا كلام بشع، فقال أبو حنيفة: وما بشع؟ فقال أبو عمرو: ولا تعرف البشع أيضاً!"^(٢)، فنجد ابا عمرو العلاء لم يصن وجه أبي حنيفة، ووصف فعل القول الذي صدر عنه بـالبشع، ولمّا لم

١ < إنباه الرّواة على أنباه النحاة: ١٤٨/١.

٢ < إنباه الرّواة على أنباه النحاة: ١٣٢/٤.

يعرف البشع، قال ابو عمرو: ولا تعرف البشع ايضاً^(١) كأنه ما كان يعرف شيئاً فعطف ما جمهله لساعته.

وأما قوله: «بشع» فليست باللغة المستعملة الشائعة في ذلك الوقت، ولا مما سار على ألسن أهل المدر نقلاً عن أهل الوبر، وإن نقلها أبو عمرو بن العلاء. والافعال التي تهدد المرسل وهي الافعال التي تهدد وجه المرسل او ما يعرف بالوجه الدافع^(٢) كالتعبير عن قبول اعتذار المرسل إليه ومثال ذلك ما دار من حديث بين المأمون والنضر بن شميل، " قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي: حدثنا المسيح بن حاتم العُكلي بالبصرة بمزبدها سنة ثمانين ومائتين، قال: حدثنا النضر بن شميل بن خرشة المازني قال: لما قدم المأمون علينا خرسان واستخلف ، دخلنا عليه فحدثنا عن هُثيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من تزوج امرأة ذات جمال ومال فقد أصاب سداداً من عوز" ، فقلت له: يا أمير المؤمنين، حدثنا عوف الاعرابي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رحمه الله عليه رضوانه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من تزوج امرأة ذات جمال ومال فقد أصاب سداداً من عوز" ، فقال: أتُلحّني يا نضر! فقلت: أمير المؤمنين

١ (التمس القطفي لابي حنيفة تلك الاغلاط فقال: قلت: وهذا ليس يقدر في الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه، فإن الفرقة النازلة بالكوفة من العرب كانوا لا يظهرون الإعراب في تنقيح مثل هذا، ومته قول الشاعر:

إن أباها وأبأ أباها ... قد بلغا في المجد غايتها

وأما قوله: «بشع» فليست باللغة المستعملة الشائعة في ذلك الوقت، ولا مما سار على ألسن أهل المدر نقلاً عن أهل الوبر، وإن نقلها أبو عمرو بن العلاء عن أعراب المريد، فما نقلها أبو حنيفة عن قاطني الكوفة، وإذا أردت أن تعرف قلنتها وشذوذها، ففتبّعها في منظوم الشعراء من أهل البادية ومنثور البلغاء منهم، فلا نجد لها سارية سائرة، بل هي في كلامهم كالحوشى الوحشى، ثم إذا تطعمتها بألّة ذوق الألفاظ، وجدتها غير جليّة الجرس، وإذا وزنتها بعميزان الألفاظ ألفتها غير خفيفة على النفس

٢ (ينظر تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي: ٢٥١)

أفصح من ذلك، وهذا لحن هُشيم – وكان لحناً- فقال: وما حجتك؟ فقلت: قول العرجي:

أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا
ليوم كرمه وسداد ثغر
قال: فسكت^(١)

هنا لم يصن النضر بن شميل وجه المأمون حينما جاء برواية ثانية للحديث ليصحح ما وقع به المأمون من اللحن، ولكن لما أدرك أنَّ المأمون قد غضب من فعل نضر بن شميل الذي عرَّض برواية ثانية دون استعمال ما يخفف من ذلك الفعل في حضرة الخليفة، ومن هنا اخذ الخطاب يُبنى على اساس علاقة السلطة بين المتخاطبين فقال الخليفة: " أتُّلحنتي يا نضر!" فما كان ردُّ بن شميل الا اقراراً بفصاحة الخليفة " أمير المؤمنين أفصح من ذلك" وعلل سبب اللحن الى الراوي الذي وصفه باللحن.

(١) طبقات النحويين واللغويين: ٥٦.

الفصل الخامس

الوقاحة وسوء الادب في الخطاب النحو

قال هاشم بن عبد مناف: أكرموا الجليسَ يَغْمُرُ نَادِيَكُمْ. (١)

إنَّ سوء الادب والوقاحة حال تنتهي اليها النفس البشرية في مرحلة تواصلية ما، تؤذن بانتهاء عرى التواصل اللغوي والاجتماعي، وحال طرقي الخطاب قبل ذا اما ان يكونا مطبوعين بمنظومة الاخلاق والآداب أو على غير ذلك فتكون الوقاحة اصلا فيهما ومنها يكون طريقهما الى الاخلاق والتأديب عن طريق التأديب والتعليم ومجالسة الاخيار واهل الفضل^(١).

والوقاحة في الخطاب فعل او مجموعة افعال لا تتوافق مع افعال الفاعلين والمشاركين فيه، وخرق لقواعد التأديب و لقواعد المجتمع وانها علاقة اجتماعية، فالوقاحة سلوك شخصي غير مهذب يضر بالتواصل بين المتخاطبين مثل التوبيخ والتهديد والاهانة والتقليل من شأن الاخر، والغضب، والكذب، والضحك. فهي سلوك لغوي فردي يهدد وجه المخاطب لفظياً او الاعراض عنه أو الاتقطاع بنية الايذاء له.

إنَّ دلالة لفظ "وقح" في اللغة تشي بتلك المضامين التي تمثلت في مفهوم الوقاحة، كون الرجل وقاح الوجه صلبه، قليل الحياء، أي أنه يلبس رداء اهل الرديئة التي لا تقمع بالتأديب فينهمك فيها ولا يجد منها بدا حتى تظن أنه ليس من اهل العلم والفضل، حتى قيل شعراً:

الصَّخر هَشَّ عند وجهك في الوقاحة^(٢).

(١) ينظر تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراف: ٢٥-٢٦

(٢) الفذكرة الحمدونية: ٢٥٧/٢

وفي دلالة لفظ " وقح " قال الخليل بن احمد الفراهيدي : ((وقح: الوقاح: الحافر الصُّلب، والتعت وقاح، الذُكر والأنثى فيه سواء. والجميع: وُقِّحَ ووُقِّحَ. ورجل وقاح الوجه ضُلبه: قليلُ الحياء. وقد وُقِّحَ وقاحَةً وقِحَةً. قال :

ليس للحاجاتِ إلا	مَن له وجهٌ وقاح
ولسان صارفٍ — ي	وغدوّ ورواح
إن تكن أبطأت الحاجة	عتي واستراح
فعليّ الجهد فـ — — —	وعلى الله التراح ^(١)

ونقل الأزهري عن الليث ((الوقاح الحافر الصُّلبُ الباقي على الحِجَازة. والنعت وقاح، الذُكر والأنثى فيه سَوَاء والجميع وُقِّحَ ووُقِّحَ، ورجلٌ وقاحٌ الوجه ضُلبه قليلُ الحياء))^(٢)

وقال ابن فارس ((وَقَّحَ) الواو والقاف والحاء: كَلِمَةٌ تُدُّ عَلَى صَلَابَةٍ فِي الشَّيْءِ. وَالْحَافِرُ الصُّلْبُ وَقَاحٌ، شَبَّهَ بِهِ الرَّجُلُ القَلِيلُ الحَيَاءِ قَاقِلَ وَقَاحٍ. ووُقِّحَ: بَيْنَ القِحَةِ وَالوقَاحَةِ))^(٣)

الذي يعنينا من ذلك دلالة اللفظ على " قليل الحياء " اي رجل غير مؤدب - non-politeness - ومهذب.

(١) معجم العين: ٢٥٦/٣

(٢) تهذيب اللغة: ٨٣/٥

(٣) معجم نقاييس اللغة: ١٣٢/٦

ولعل مدلول الوقاحة وسوء الادب يستمد دلالاته الاصطلاحية من توجيه الخطاب واعادة تدويره بطريقة غير مهذبة تفتقر الى اللياقة في التواصل اللغوي، وبعضهم يرى حدة الاندفاع في الخطاب يجعل منه محفزا للعدوان اللفظي وهذا ما يعرف باستراتيجية المندفع (الوقاحة) *strategic motivated* وهو مقابل للمحفز للعدوان اللفظي *use of verbal aggression* ⁽¹⁾. علماً أن الاندفاع في الخطاب اللغوي لا يكون ابتداءً، بل يسبقه تواصل لغوي ينطلق من نقطة اتصال محددة بين المتخاطبين وهذا ما يجعلنا نحدد طبيعة الخطاب والوجهة التي يراد بها وسعي طرفي الخطاب الى عدم الانحراف وقبول الاخر بما انتهى اليه او ما يقدمه ويحاول تفسيره، لكن في مرحلة معينة تتهار اسس هذا الحوار في نقطة اتصال يظهر فيها عدم الاحترام والخروج عن الاعراف والسياقات الاجتماعية و آدب الخطاب اللغوي.

وإذا ما اردنا النظر في بدايات هذا المصطلح (سوء الادب والوقاحة) في الخطاب اللغوي العربي القديم والتأصيل له نذهب الى مقولات سيبويه التي افصحت عن معايير الخطاب كحدود اساسية للسلوك اللغوي المقبول، ومن تجاوز تلك المعايير وخرق العرف التواصل بين العلماء واهل الفضل والدراية ينتهي الى فعل غير ومهذب ووقح حتى وصفه سيبويه بقوله: ((هذا سوء أدب)) قال الزجاجي: ((حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو العباس أحمد بن يحيى، وأبو العباس محمد بن يزيد وغيرهما قال أحمد: حدثني سلمة قال: قال الفراء: قدم سيبويه على البرامكة، فعزم يحيى على

(١) ينظر هذا المعنى في كتاب حدود الادب لروبن لاكوف :

Lakoff, Robin (1989). "The limits of politeness: Therapeutic and courtroom discourse". *Multilingua*. 8

الجمع بينه وبين الكسائي، فجعل لذلك يوماً، فلما حضر تقدمت والأحمر فدخلنا، فإذا بمثال في صدر المجلس، فقعده عليه يجبي، وقعد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيويوه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة أجاب فيها سيويوه، فقال له: أخطأت. ثم سأله عن ثانية فأجابه فيها، فقال له: أخطأت. ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها فقال له: أخطأت. فقال له سيويوه: هذا سوء أدب ((^١) وفي رواية أخرى عن القفطي قال: ((فلما كان ذلك اليوم غدا سيويوه وحده إلى دار الرشيد، فوجد القراء وهشاما والأحمر ومحمد بن سعدان قد سبقوه، فسأله الأحمر عن مائة مسألة، فأجابه عنها، فما أجابه بجواب إلا قال: أخطأت يا بصري: فوجم لذلك سيويوه وقال: هذا سوء أدب.))^(٢).

نلاحظ من هذا الخطاب عدم اظهار الاحترام لسيويوه وهو يمثل رأس المدرسة البصرية، والذي يعلم بهذه الواقعة وما اعقبها من مناظرة بين الكسائي وسيويوه سيجد كيف كانت نقطة الاتصال الاولى بين المتناظرين.

إن سوء الادب والوقاحة في الخطاب اللغوي يتشكل بعد الانحراف التواصلي بين طرفي الخطاب الذي يكون باعته الاول انزعاج احد الطرفين من الاخر مما يجعل من الحوار حوارا مشحونا غير متوازن، يمثله انتهاك حدود اللياقة والادب كالتغليط والكذب بالألفاظ الفاحشة والسخرية من خلال الضحك او الكذب او استعمال

١ (كتاب مجالس العلماء للزجاجي: ١ / ٩)

٢ (كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢ / ٣٥٨)

بعض الالفاظ في غير موضعها، ومن هنا يتولد خطاب الكراهية بين اللغويين والنحويين ومن هم عيال عليهم .

مثال على ذلك كلام الكسائي الذي اظهر عدم احترامه لابي محمد اليزيدي قال الزجاجي : ((حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو العباس ثعلب قال: حدثني خلف البزاز قال: جمعت الكسائي واليزيدي في عرس أم هؤلاء -يعني أولاده - فقال له اليزيدي: يا أبا الحسن، تأتينا عنك أشياء ننكرها. فقال: وأي شيء مع الناس إلا فضل بزائي. قال: فما كلمه حتى قام.))^(١)

نلاحظ رد الكسائي الذي قطع التواصل واتهمك حدود اللياقة في الحوار مع اليزيدي فرد عليه بأن الذي عند الناس وانت منهم هو اخر ماء الفم ومفرزاته التي تطرح خارجه، وهذا ما مثله بـ " فضل بزائي " والبصاق لغة فيه^(٢) .

إنّ النظر في الخطاب اللغوي العربي القديم وتحديد سلوك اطرافه و نعت مقولاتهم وردود افعالهم بالمهذبة أو الوثقة قد لا تؤثر بسلوكيات الطبقة الأكاديمية التي اطلعت على هذا الخطاب ووصفه ظاهرياً، وجعلت منه خطابا مقبولا يصف مرحلة ما، قد شهدت تحولا فكريا ودينيا واجتماعيا، وما هذا السلوك الا انعكاس للثقافة الحوار في ذلك الوقت، وما صدر عن بعض اللغويين والنحويين من ممارسات خطابية تنتهك حدود اللياقة انما هي ثنوءات و طفرات خطابية افرزتها المشاعر السلبية اتجاه الاخر، والامر عينه في كل زمان ومكان، لأننا لو انعمنا النظر في سلوكياتنا في

١ (مجالس العلماء : ١ / ١١)

٢ (ينظر معجم العين : ٥ / ٩٣)

المحاورات او المناقشات او رود الافعال في الندوات العلمية ووصفنا لعبارات واستعمالات الاخر لوجدنا انفسنا نؤسس لخطاب كراهية لأننا بطريقة ما ننتهك حدود الحوار لتحقيق هدف تواصل مع الجمهور على حساب الاخر والتلبس بمظاهر السلطة اللغوية. وفي هذه الحال يكون اعتماد هذه الاستراتيجية في الخطاب الشفاهي على انها طريقة من طرائق التواصل اللغوي التي تخدم من تلبس بهذا الخطاب لستر عوراته اللغوية ولا يعلم انها طريقة تواصل معيبة لا تفصح عن كفاءة اللغوية والتواصلية.

ولعل القارئ لما تقدم يرفض هذا الوصف للخطاب اللغوي لأنه في مرحلة ما لا يفرق بين تحليل الخطاب والنظر الى منشئ الخطاب، نحن في هذا المقال لا نهتم كثيرا بمنشئ الخطاب ولا نريد أن نجعل من سلوك ما قد تمثل به هو الغالب على الخلق الذي يعرف به، لان الامر في حقيقته هو استعمال المخاطب والمخاطب على حد سواء سلوكيات تنتهك حدود اللياقة لتحقيق غرض ما او الهروب الى الامام، وبما أن هذه السلوكيات " الوتحة " من طرائق التواصل وتخدم اغراض وظيفية وتواصلية فلا بأس من الوقوف عندها وبيان مراحل التحول "من الى" اي متى تكون فظاً غليظاً وحقاً ومتى تكون مهذباً لطيفاً ليناً، وهذا الامر بعينه يفصح عن مهارة اللغوي او النحوي الذي يتمثل بهذه السلوكيات وكفاءته البراغماتية حين يخرج من سوء الادب الى الادب مثال ذلك ما دار في مجلس أبي عثمان المازني و يعقوب بن السكيت ((أخبرنا أبو إسحاق الزجاج قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد، عن أبي عثمان قال: جمعني وابن السكيت بعض المجالس، فقال لي بعض من حضر: سله

عن مسألة. وكان بيني وبين ابن السكيت وُدُّ، فكرهت أن أتهجمه بالسؤال؛ لعلمي بضعفه في النحو، فلما ألح علي قلت له: ما تقول في قول الله جل وعز: (فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكَتَلْ) ما وزن نكتل من الفعل ولم جزمه؟ فقال: وزنه تفعل، وجزمه لأنه جواب الأمر. قلت له: فما ماضيه؟ ففكر وتشور، فاستحيت له، فلما خرجنا قال لي: ويحك ما حفظت الود، نخجلتني بين الجماعة. فقلت: والله ما أعرف في القرآن أسهل منها. قال: وزن نكتل تفتعل من أكتال يكتال، وأصله نكتيل، فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت الألف لسكونها وسكون اللام فصار نكتل.)^(١) فكان من الممكن ان يتصرف ابو عثمان المازني على غير الذي أوجده منه ابن السكيت، على الرغم من ذلك وجدنا ابن السكيت يقول له: ((ويحك ما حفظت الود)) كأنَّ ما صدر عن المازني فيه انتهاك لسلوك التواصل بينهما، وانساق وراء من يريد الاساءة لابن السكيت والتعريض به، وهذا النص يكشف عن ثقافة مجتمع يتصرف حسب الميول والاهواء، فهناك سلوك وقح ينتهك قواعد التواصل اللغوي وهذا الامر لا يمكن لنا أن نجعل منه قاعدة عامة بل الامر منوط بثقافة الرجل ومكانه وظروفه التي تؤثر فيه وفي هذه الحال يكون السلوك الوقح سلوكا فردياً، وهناك سلوك مهذب يرعي تلك القواعد ويلتزم بها لا سيما حفظ وجه المخاطب.

إنَّ اللجوء الى سلوك غير مهذب "وقح" من احد طرفي الخطاب ك الصمت أو عدم الالتفات الى ما يقوله الاخر او رفع نبرة الصوت يسهم في انهاء وقطع الحوار وهذا ما

يسعى إليه احد طرفي الخطاب ابتداءً، أي أنه لا يريد التواصل مع الاخر، ويشفع ذلك الامر التلطف بكلمات غير مهذبة كما هو حال الاخفش سعيد ابن مسعد مع امير البصرة حيث قال : ((كان أمير البصرة يقرأ: (لَنْ اللهُ وَمَلَأْتَهُ يَصْلُونَ) بالرفع، فيلحن، فضيت إليه ناصحاً له، فزبرني و توعّديني، وقال: تلحنون أمراءكم!).

ثم عزل وولى محمد بن سليمان، فكأنه تلقاها من فم المعزول. فقلت في نفسى: هذا هاشمي، ونصيحته واجبة، فخشيت أن يلقاني بما لقيني به الأول، ثم حملت نفسى على نصيحته، فصرت إليه وهو في غرفة، ومعه أخوه والغلمان على رأسه؛ فقلت: أيها الأمير، جئت لنصيحة، قال: قل، قلت: هذا- وأومات إلى أخيه- فلما سمع ذلك قام أخوه، وفرّق الغلمان عن رأسه- وأخلاني- فقلت: أيها الأمير، أتم بيت الشرف وأصل الفصاحة، وتقرأ: (لَنْ اللهُ وَمَلَأْتَهُ) بالرفع، وهذا غير جائز، فقال: قد نصحت ونهيت، فجزيت خيراً، فانصرف مشكوراً. فلما صرت في نصف الدرجة إذا الغلام يقول لي: قف مكانك، فقعدت مروّعا، وقلت: أحسب أن أخاه أغراه بي؛ فإذا بغلة

سفواء و غلام وبدرة وتخت ثياب وقائل يقول: البغلة والغلام والمال لك، أمر به الأمير. فانصرفت مغتبطاً بذلك))⁽¹⁾ نلاحظ الاخفش سعيد بن مسعدة لم يصرح باللفظ الذي صدر عن امير البصرة وإنما قال " زبرني " و " توعّديني " عن ابن منظور في الزبر قال ((وَزَبَرَهُ يَزْبُرُهُ، بِالضَّمِّ، عَنِ الْأَمْرِ زَبْرًا: نَهَاهُ وَاشْتَهَرَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: إِذَا

رَدَدَتْ عَلَى السَّائِلِ ثَلَاثًا فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَزِيرَهُ أَيْ تَهْتِرَهُ وَتُغْلِظَ لَهُ فِي الْقَوْلِ وَالزَّيْدُ وَالزَّيْرُ، بِالْفَتْحِ: الرَّجُزُ وَالْمَنْعُ لِأَنَّ مَنْ زَيَّرْتَهُ عَنِ الْغَيِّ فَقَدْ أَحْكَمْتَهُ كَزَيْرِ الْبُتْرِ بِالطَّيِّ.))^(١)
 اما توعد الامير له فتهديدٌ وتخويفٌ بالعقوبة^(٢) هنا الأخفش لم يصرح بما خُوف به.

واذا ما ذهبنا الى تيمة النص نفسه بعد ما عزل الامير الاول وجدنا قول الامير الاخر "محمد بن سلمان" للأخفش يشعره بقبول مشاركة الحوار بطريقة مهذبة، ووجد الأخفش الامير ممتاً لما يريد أن يقوله، وبعد ان صرح للأمير بموضع الخطأ في القراءة ، قال: قد نصحت ونهيت، فجزيت خيراً، فانصرف مشكوراً.

القارئ لرواية الأخفش يدرك أن الأخفش يريد أن يقول أن الامير محمد بن سليمان قد اعطاني مساحة صغيرة لبيان ما أريد تبيانه لكنه قطع الحديث معي وقال له : قد نصحت ونهيت، فجزيت خيراً، فانصرف مشكوراً، وهو في هذه الحال وبعد ان سمع نداء الغلام ظن أنه قد أُحيط به بلحاظ قوله : قف مكانك، فقعدت مروّعاً.

هنا نؤشر على قول الغلام حينما صاح بـ"الأخفش" "قف" لأنه فشل في التواصل معه في ما اراد الامير توصيله له تعبيراً عن شكره، وهذا الامر في حد ذاته خارج عن حدود اللياقة وانتهاك لطريقة التواصل المهذبة مع الأخفش.

لأن انتهاك معايير التأدب في الخطاب النحو في بعض الاحيان يكون مفيداً، ولا يمثل فشلاً تداولياً بين اطراف الخطاب الذين يمثّلون بهذا السلوك لانهم يسعون الى فعل انجازي يمثّل بالتنفيس عن مشاعرهم السلبية او التمثيل بدور سلطوي.

(١) لسان العرب : ٣١٥/٤

(٢) ينظر دلالة هذا اللفظ في القاموس المحيط : ٣٠٨

من خلال الذي تقدم علم أن السلوك اللغوي المرغوب عنه يكون بيتاً لطرفي الخطاب ولا سيما الذي وقع عليه الكلام، لكن في بعض الروايات نجد من نقل لنا تلك الرواية يصف ما صدر عنه فعلا ما بـ "المعتوه" وليس بالضرورة ان يكون هذا الفعل التواصلية فعلا وحقاً، وهذا يؤشر الى أن الوقاحة وسوء الادب ممكن أن يتمثل بها الراوي اللغوي الذي يعتمد في مرحلة ما الى تشويه صورة من عرف بقواعد النحو او كلام العرب واراد ان يختبر من عرّف بنفسه أنه من اللغويين والنحويين، مثال ذلك ما نقله الزجاجي من حوار دار بين ابي حاتم ورجل لم يصرح بأسمه وانما وصفه بـ: المعتوة" والجذر اللغوي لهذا اللفظ "معت" مهمل عند الخليل وغيره من علماء اللغة^(١)، وجاء في لسان العرب ابن منظور في جذر "عته" ((عته: التّعته: التّجُنُّ والرُّعونة؛ وأنشد لِرُؤُوبَةٍ:

بعَدَ لَجَاحٍ لَا يَكَادُ يَنْتَهِي ... عَنِ النَّصَابِي، وَعَنِ التَّعْتِ

وَقِيلَ: التَّعْتَةُ الدَّهْشُ، وَقَدْ عَتِيَ الرَّجُلُ عَتْبًا وَعَتْبًا وَعَتْبَاهَا. وَالْمَعْتُوهُ: الْمَذْهُوشُ مِنْ غَيْرِ مَسِّ جُنُونٍ. وَالْمَعْتُوهُ وَالْمَحْفُوقُ: الْمَجْنُونُ، وَقِيلَ: الْمَعْتُوهُ النَّاقِضُ الْعَقْلِ. وَرَجُلٌ مُعْتَةٌ إِذَا كَانَ مَجْنُونًا مُضْطَرِبًا فِي خَلْقِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ:

(١) (معت) الميم والعين والفاء. قال أبو بكر: المعتت: الذك وبعث الأديم: ذكته. وهو عند الخليل مهمل. ينظر مقاييس

رَفَعَ الْقَلَمَ عَنْ ثَلَاثَةٍ: الصَّبِيِّ وَالنَّائِمِ وَالْمَعْتُوهِ ، قَالَ: هُوَ الْمَجْنُونُ الْمُصَابُ بِعَقْلِهِ، وَقَدْ عَنِه فَهُوَ مَعْتُوهُ. وَرَجُلٌ مُعْتَهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا مُعْتَدِلًا فِي خَلْقِهِ. وَعِنْتَهُ فَلَانٌ فِي الْعِلْمِ إِذَا أُوْلِعَ بِهِ وَخَرَصَ عَلَيْهِ.))^(١)

قال الزجاجي : ((حدثني بعض إخواني قال: حدثني أحمد بن محمد بن رستم الطبري قال: جاء رجلٌ معتوه إلى مجلس أبي حاتم فوقف يسمع كلام أبي حاتم، فقال له رجل: يا أبا حاتم لم نصبوا مالا ينصرف من الأسماء في موضع الجر؟ فقال: شبهوه بالفعل، والفعل لا يدخله الجر. فقال المعتوه: يا أبا حاتم، القياس على ما يرى أسهل أم على ما يسمع؟ فقال أبو حاتم: على ما يرى أسهل. قال المعتوه: ما يشبه هذا؟ وأخرج يده وقد ضم بين أنامله، فقال أبو حاتم: لا أدري. قال: فأنت لا تحسن أن تشبه هذا الذي تراه بشيء فكيف تشبه ما لا ترى بما لا ترى؟ وأخرج يده الأخرى مضمومة الأنامل كما فعله بالأخرى وقال: يا غليظ الفطنة بعيد الذهن، هذا يشبه هذا. فحجل أبو حاتم وبقي أصحابه متعجبين. فقال أبو حاتم: لا تعجبون من هذا، أخبرني الأصمعي أن معتوها جاء إلى أبي عمرو بن العلاء فقال: يا أبا عمرو، لم سميت الخيل خيلا؟ فبقي أبو عمرو ليس عنده فيه جواب. فقال: لا أدري. فقال: لكني أدري. فقال: علمنا نعلم. قال: لا اختيالها في المشي. فقال أبو عمرو لأصحابه بعد ما ولى المجنون: اكتبوا الحكمة وارووها ولو عن معتوه.^(٢)

١ (لسان العرب: ١٣/ ٥١٢)

٢ (مجالس العلماء: ١/ ١٨٧)

في هذا المجلس امران الاول عدم التصريح بالخطاب " المعنوه " والذي تعلمه من خطابه أنه ليس بمعنوه، والامر الاخر ما نسب من رواية الى ابي حاتم عن ابي عمرو بن العلاء التي جاءت على غير ما كان امر الرجل الاعرابي فيها. والرواية كانت على النحو الاتي: قال القنطي ((وسئل أبو عمرو عن اشتقاق الخيل، فلم يعرفه، فترّ أعرابيّ محرم، فأراد السائل سؤال الأعرابيّ، فقال له أبو عمرو: دعني، فأنا أطف بسؤاله وأعرف، فسأله، فقال الأعرابيّ: اشتقاق الاسم من فعل المستقى، فلم يعرف القوم ما أراد الأعرابيّ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك، فقال: ذهب إلى «الخيلاء» التي في الخيل والعجب، ألا ترى أنها تمشي العرضنة خيلاء وتكبراً))^(١) ومن سوء الادب ما كان في مجلس محمد بن زياد الاعرابي مع أحمد بن حاتم إذ ((وجدت بخط أبي نصر أحمد بن حاتم قال: اجتمعت أنا ومحمد بن زياد الاعرابي فسألته عن قول طفيل الغنوي:

تتابعن حتى لم يكن لي ريبه ... ولم يك عما خبروا متعقب

فقلت له: ما معنى متعقب؟ فقال: تكذيب. فقلت له: أخطأت. وقولي له ((أخطأت)) بعدما سفه علي. ثم قلت له: إنما قوله ((متعقب)): أن تسال عن الخبر ثانية بعد ما سألت عنه أول مرة. يقال تعقبت الخبر، إذا سألت عنه غير من كنت سألته عنه أول مرة. ومنه يقال: عقب في الغزو، إذا غزوت ثم ثنيت من سنتك.^(٢)

(١) إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ١٣٥

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة : ١/ ٢١٦

نجد قول ابي حاتم " بعدما سفه علي " اي صار سفيها خفيف العقل لا حلم له، وهذه حالة من سوء الادب، يقال ((سَفَهُ عَلَيْنَا، بِالضَّمِّ، سَفَاهًا وَسَفَاهَةً وَسَفِهَ، بِالْكَسْرِ، سَفَهَا، لُعْتَانِ، أَي صَارَ سَفِيهَاً، فَإِذَا قَالُوا سَفِهَ نَفْسَهُ وَسَفِهَ رَأْيَهُ لَمْ يَقُولُوهُ إِلَّا بِالْكَسْرِ، لِأَنَّ فَعَلَ لَا يَكُونُ مُتَعَدِّيًا))^(١) وقيل ((السَّفِيهُ: الخفيفُ العَقلُ مِنْ قَوْلِهِمْ تَسَفَّهَتِ الرِّيحُ الشَّيْءَ إِذَا اسْتَحَفَّتْهُ فَحَرَكَتْهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: السَّفِيهُ الْجَاهِلُ وَالضَّعِيفُ الْأَحْمَقُ))^(٢)

- الوقاحة في السؤال والاجابة عنه و التفسير له

نجد هذا السلوك الذي يؤدي الى فشل التواصل اللغوي في تجاهل المخاطب للمخاطب بشكل واضح حينما يطلب منه الاجابة عن سؤال ما او انه يفسر الشيء على ما يكون عليه ، ومن هنا تكون التعبير تعبيرا غير مهذبا يتم عن تجاهل المخاطب والسعي الى افشال العملية التخاطبية.

قيل إن علي بن سليمان بن الفضل ابو الحسن الاخفش الصغير كان إذا سئل عن مسألة في النحو ضحجر واتهر من يواصل مسألته^(٣) وقد يكون تفسير الشيء على ما يكون عليه طلبا في التواصل مع المخاطب وهذا ما فعله ابو العباس المبرد مع ابي اسحاق الزجاج ، علما أن غرض الزجاج وابن الخياط العبث بالمبرد وفض حلقة بأمر من ثعلب، روى القفطي ((فلما نظر ثعلب إلى من حول أبي العباس المبرد أمر

١ (لسان العرب: ١٣ / ٤٩٩)

٢ (لسان العرب: ١٣ / ٤٩٩)

٣ (ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢٧٨/٢)

إبراهيم بن السريّ الزّجاج وابن الخياط بالنهوض، وقال لهما: فضًا حلقة هذا الرجل، فنهض معها من حضر من أصحابه فلما صاروا بين يديه قال له إبراهيم بن السريّ: أتأذن- أعزك الله- في المفاتشة؟ فقال له المبرّد: سل عما أحببت، فسأله عن مسألة فأجابه عنها بجواب أفتعه، فنظر الزّجاج في وجوه أصحابه متعجبًا من تجويد أبي العباس للجواب، فلما انقضى ذلك قال له أبو العباس: أفتعت بالجواب؟. فقال: نعم؛ فإن قال قائل في جوابنا هذا كذا، ما أنت راجع إليه؟ وجعل أبو العباس يوهن جواب المسألة ويفسده ويعتلّ فيه. فبقى إبراهيم بن السريّ سادرا لا يخيّر جوابا، ثم قال: إن رأى الشيخ- أعزّه الله- أن يقول في ذلك. فقال المبرّد: فإنّ القول على نحو كذا؛ فصحّ الجواب الأوّل وأوهن الاعتراض. فبقى الزّجاج مبهوتا، ثم قال في نفسه: قد يجوز أنه كان حافظا لهذه المسألة، مستعدا للقول فيها؛ فسأله مسألة ثانية، ففعل المبرّد فيها ما فعله في الأولى؛ حتى سأله أربع عشرة مسألة، وهو يجيب عن كلّ واحدة منها بما فعله في المسألة الأولى.

فلما رأى ذلك الزّجاج قال لأصحابه: عودوا إلى الشيخ، فلست مفارقا هذا الرجل، ولا بدّ لي من ملازمته والأخذ عنه. فعاتبه أصحابه وقالوا: تأخذ عن مجهول لا يعرف اسمه، وتدع من شهر اسمه وعلمه، وانتشر في الآفاق ذكره! فقال: لست أقول بالذّكر والنحول؛ ولكنّي أقول بالعلم والعمل^(١).

ومثل ذلك في السؤال والتعقيب على الاجابة، إذ صدر سلوك وقع من ابراهيم الموسوس اتجه ابي بكر بن الانباري، حينما قال له : اذا لم تجبني لأطعمتك منه " يرد الخراء " وهذا نص الرواية التي رواها القفطي، قال ابو بكر بن الانباري ((فقلت لصاحب المارستان: من هذا الرجل؟

فقال: هذا إبراهيم الموسوس محبوس. فقلت: ويحك! هذا أبي بن كعب، افتح الباب عنه، ففتح الباب فإذا أنا برجل منغمس في النجاسة، والأدهم في قدميه، فقلت: السلام عليكم، فقال: كلمة مقولة، فقلت: ما منعك من ردّ السلام عليّ؟ فقال: السلام أمان، واني أريد أن أمتحنك، أأست تذكّر اجتماعنا عند أبي العباس- يعني ثعلبا- في يوم كذا وفي يوم كذا؟ وعرفني ما ذكرته وعرفته، وإذا به رجل من أفاضل أهل العلم، فقال لي: هذا الذي تراني منغمسا فيه ما هو؟ فقلت: الخراء يا هذا، فقال: وما جمعه؟ فقلت: خروء، فقال لي: صدقت! وأنشد:

كأن خروء الطير فوق رءوسهم

ثم قال: والله لو لم تجبني بالصواب لأطعمتك منه، فقلت: الحمد لله الذي أنجاني منك. وتركنه وانصرفت.))⁽¹⁾

ومثل ذلك في تفسير الشعر ما دار بين محمد بن زياد الأعرابي وطاهر بن عبد الله قال الزجاجي : ((ثم سأله طاهر بن عبد الله بن طاهر، ومعنا عدة من العلماء، عن قول طفيل:

كأن على أعرافه ولجامه ... سنا ضرم من عرج يتلهب

فقال له: ما معنى هذا البيت؟ فقال: أراد أن هذا الفرس شديد، الشقرة كحمرة النار. فقلت له: ويحك، أما تستحي من هذا التفسير، إنما معناه أن له حفيفا في جريه كحفيف النار ولهبه. ثم أنشدته أبياتا حججا لهذا البيت. قال امرؤ القيس^(١):

سبوحا جموحا واحضارها ... كعمعة السعف الموقد))

قال الزجاجي: ((حدثنا أبو عبد الله اليزيدي قال: أخبرني عمي الفضل بن محمد بن أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي، قال: كنا ببلد مع المهدي في شهر رمضان قبل أن يستخلف بأربعة أشهر، فتذاكروا ليلة عنده النحو والعريية، وكنت متصلا بخاله يزيد بن منصور، والكسائي مع ولد الحسن الحاجب، فبعث إلي وإلى الكسائي فصرت إلى الدار، وإذا الكسائي بالباب قد سبقني، فقال: أعوذ بالله من شرك يا أبا محمد. فقلت: والله لا تؤتى من قبلي أو أوتي من قبلك. فلما دخلنا على المهدي أقبل علي فقال: كيف نسبوا إلى البحرين فقالوا بحراني، أو إلى الحصنين فقالوا حصني؟ فقلت: أيها الأمير، لو قالوا في النسب إلى البحرين بحري لالتبس فلم يدر: النسبة إلى البحرين وقعت أم إلى البحر، فزادوا ألفا ونونا للفرق بينهما، كما قالوا في النسب إلى الروح روحاني. ولم يكن للحصنين شيء يلتبس به فقالوا حصني على القياس. فسمعت الكسائي يقول لعمر بن بزيع: لو سألتني الأمير لأجبتة بأحسن من هذه العلة. فقلت: أصلح الله الأمير، إن هذا يزعم أنك لو سألته أجاب بأحسن من جواني.

فقال: قد سألته. فقال: أصلح الله الأمير، كرهوا أن يقولوا حصناني فيجمعوا بين نونين، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة فقالوا بجراني لذلك. فقلت: فكيف تنسب إلى رجل من بني جنان؟ إن لزمتم قياسك قلت: جني فجمعت بينه وبين المنسوب إلى الجن، وإن قلت جناني رجعت عن قياسك وجمعت بين ثلاث نونات.

ثم تفاوضنا الكلام إلى أن قلت له: كيف تقول: إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم بته زيّد. فأطرق مفكرا وأطال الفكر، فقلت: أصلح الله الأمير، لأن يجيب فيخطئ فيتعلم أحسن من هذه الإطالة. فقال: إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم بته زيّدا. فقلت له: أخطأت. قال: كيف؟ قلت: لرفعه خيرهم قبل أن تأتي باسم إن، ونصبه زيّدا بعد الرفع، وهذا لا يجيزه أحد. فقال شبية بن الوليد عم دفاة، متعصبا له: لعله أراد بأو: بل. فقلت: هذا المعنى لعمرى معنى. فلقنه الكسائي، فقال: ما أردت غيره. فقلت: أخطأتما جميعا؛ لأنه غير جائز إن من خير القوم وأفضلهم بل خيرهم زيّدا. فقال المهدي للكسائي: ما مر بك مثل اليوم. قال: فكيف الصواب عندك؟ قلت: [إن] من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم بته زيّد، على معنى تكرير إن. فقال المهدي: قد اختلفتما وأتما عالمان فمن يفصل بينكما؟ قلت: فصحاء الأعراب المطبوعون.

فبعث إلى أبي المطوق، فعملت له أبياتا إلى أن يجيء، وكان المهدي يميل إلى أخواله من اليمن فقلت:

يأبها السائلي لأخبره ... عن بصنعاء من ذوي الحسب
حمير ساداتها تقر لها ... بالفضل طرا ججاج العرب
فإن من خيرهم وأفضلهم ... أو خيرهم بته أبو كرب

فلما جاء أبو المطوق أنشدته الأبيات، وسألته عن المسألة فوافقتي^(١) علق الزجاجي على ما جاء به الكسائي واليزيدي حيث قال ((المسألة مبينة على الفساد للمغالطة. فأما جواب الكسائي فغير مرضى عند أحد، وجواب اليزيدي أيضا غير جائز عندنا؛ لأنه أضر إن عملها، وليس من قوتها أن تضرر فتعمل . فأما تكريرها فحائز. قد جاء في القرآن والفصح من الكلام.

قال الله جل وعز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فجعل إن الثانية مع اسمها وخبرها خبراً عن الأولى. وقال الشاعر:

إن الخليفة إن الله سريله ... سربال ملكٍ به تزجى الخواتيم
والصواب عندنا في المسألة أن يقال: إن من خير القوم وأفضلهم أو خيرهم البتة زيد، فيضم اسم إن فيها ويستأنف ما بعدها.

وذكر سيويوه أن البتة مصدر لم تستعمله العرب إلا بالألف واللام، وأن حذفها منها خطأ^(٢)))

و عن خالد الحداء قال : " سألتُ نصر بن عاصم - وهو اول من وضع العربية- كيف تقرأ (قل هو الله أحد، الله الصمد)، فلم ينون، فأخبرته أن عروة- بن الزبير بن العوام ، ينون، فقال: بئسما قال، وهو للبئس اهل"^(٣) تلحظ كيف كان رد نصر

١ (مجالس العلماء : ٢٢٠-٢٢٢

٢ (مجالس العلماء : ٢٣ /١

٣ (طبقات النحويين : ٢٧

بن عاصم على خبر نقل له وهو لا يعلم صحة ذلك الخبر، فجعله وصاحبه من المرغوب عنه.

وقال خلف: أولت ولجة، فدعوت الكسائي واليزيدي، فقال اليزيدي للكسائي: يا أبا الحسن، أمور تبلغنا وحكايات تتصل بنا، ننكر بعضها. فقال الكسائي: أمثلي يخاطب بهذا! وهل مع العالم من العربية إلا فضل بصاقي هذا! ثم بصق. فسكت اليزيدي. هذا القول وما صدر من فعل البصاق على الأرض يفصح للمتلقى عن حال المخاطب "الكسائي" الذي قصد إلى قطع الحوار مع اليزيدي بهذه الطريقة التي تشي بسوء الأدب والوقاحة، لأنه يعلم صحة ما نقل إلى اليزيدي.

- الضحك والشغب صورة من صور سوء الأدب

نعلم أن الضحك في غير محله ومورده لا يليق بصاحبه، وما صاحب الخطاب النحوي لا يصنف إلا في دائرة سوء الأدب لأن الذي تمثل به لا يقصد إلا هانة خصمه والعبث به والتأثير عليه. كما هو حال الأصمعي وضحكه وتهافته مع الكسائي ((حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كنا عند الرشيد فحضر الأصمعي والكسائي، فسأل الرشيد عن بيت الراعي وقوله:

قتلوا ابن عفان الخلفية محرما ... ودعا فلم أر مثله مخذولا

فقال الكسائي: كان قد أحرم بالحج. فضحك الأصمعي وتهافت فقال له الرشيد: ما عندك؟ فقال: والله ما أحرم بالحج ولا أراد أيضا أنه دخل في شهر حرام، كما يقال

أشهر وأعام، إذ دخل في شهر وفي عام. فقال له الكسائي: ما هو إلا هذا، وإلا فما معنى الإحرام؟ قال الأصمعي: نخبرني عن قول عدي بن زيد: قتلوا كسرى بليل محرما ... فتولى لم يمتع بكفن

أي إحرام لكسرى؟ فقال الرشيد: فما المعنى؟ فقال: يريد أن عثمان لم يأت شيئا يوجب تحليل دمه، وكل من لم يحدث مثل ذلك فهو في ذمة. فقال الرشيد: يا أصمعي، ما تطلق في الشعر^(١)

ومثله ما كان بين الاصمعي والمفضل الذي شغب أي رفع صوته استهزاء واعتراضا على ما جاء به الاصمعي من تفسير وتصحيح لفظ " جذع " حيث قال الزجاجي: ((حدثني أبو الحسن علي بن سليمان قال: حدثني أحمد بن يحيى ومحمد بن يزيد، قالا: حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال:

ناظرني المفضل عند عيسى بن جعفر، فأنشد بيت أوس بن حجر:

وذا هدم عار نواشرها ... تصمت بالماء تولبا جذعا

فقلت له: هذا تصحيف، لا يوصف التولب بالإجذاع، وإنما هو ((جذعا)). والجذع: السوء الغذاء. قال: فجعل المفضل يشغب، فقلت له: تكلم كلام النمل وأصب، لو نضخت في شبور يهودي ما نفعك شيئا.^(٢)

(١) مجالس العلماء: ١/ ٢٥٧

(٢) مجالس العلماء: ١/ ١٤

- الوصف بالكذب من سوء الادب

الكذب صفة مذمومة وهي امانة من امانة المنافق، لكن في هذا المقال نجد ان اتهام المخاطب بالكذب للإيقاع به وللخصومة معه او النيل منه لأنه اخطأ في مسألة ما فهذا الفعل من الوقاحة وسوء الادب ، لأنك وصفت رجلا لا يمثل بما وصفته به من القول. وهذا ما كان كيسان والأصمعي قال الزجاجي : ((حدثني أبو الحسن قال: حدثني أبو العباس ثعلب قال: قرأ بعض أصحاب الأصمعي عليه شعر النابغة الجعدي حتى انتهى إلى قوله:

إنك أنت المحزون في أثر الحي ... فإن تنو نبيهم تقم

فقال الأصمعي: معناه فإن تنو نبيهم تقم صدور الإبل، تظعن نحوهم، كما قال الآخر:
أقم لها صدورها يابسبس

فقال له كيسان: كذبت، أما إنك سمعت من أبي عمرو بن العلاء، لكن نسيت، إنما أراد أنهم قد نوا فراقك فذهبوا وتركوك، فإن تنو لهم مثل ما نوا فيك من القطيعة تقم في دارك ومكانك، ولا ترحل عنهم ولا تطلبهم^(١).

ومثله قول الأصمعي لعباس الاحنف قيل : ((قال الأصمعي: بعث إلي محمد بن هارون، فدخلت عليه وفي يده كتابٌ يديم النظر فيه ويتعجب منه، فقال لي: يا عبد

الملك، أما تعجب من هذا الشاب وما يجيء به؟ فقلت: من هو؟ فقال: عباس بن الأحنف. ثم رمى إلي الكتاب فإذا فيه شعرٌ قاله عباس، وهو:

إذا ما شئت أن تصنع شيئاً يعجب الناسا
فصور هاهنا فوزاً وصور ثم عباسا
ودع بينها شبرا وإن زدت فلا باسا
فإن لم يدنوا حتى ترى راسيها راسا
فكذبتها بما قاست وكذبه بما قاسي

قال الأصمعي: وكان بيني وبين عباس شيء فقلت: مسترقُّ يا أمير المؤمنين.

قال: ممن؟ قلت: من العرب والعجم. قال لي: ما كان

من العرب؟ قلت: رجلٌ يقال له ((عمر))، هوي جارية يقال لها ((قمر))، فقال:

إذا ما شئت أن تصنع ... شيئاً يعجب البشرى
فصور هاهنا عمراً ... وصور هاهنا قمرى
فإن لم يدنوا حتى ... ترى بشرهما بشرى
فكذبتها بما ذكرت ... وكذبه بما ذكرى

قال: فما كان من العجم؟ قلت: رجل يقال له ((فلقا))، هوي جارية يقال لها ((روق)) فقال:

إذا ما شئت أن تصنع ... شيئاً يعجب الخلقا
فصور هاهنا روقاً ... وصور هاهنا فلقا

فإن لم يدنوا حتى ... ترى خلقها خلقا
فكذبها بما لاقت ... وكذبه بما يلقى

فبينما نحن كذلك إذ جاء الحاجب فقال: عباس بالباب. فقال: ائذن له. فدخل فقال: يا عباس، تسرق معاني الشعر وتدعيه! فقال: ما سبقتي أحد. فقال محمد: هذا الأصمعي يحكيه عن العرب والعجم. ثم قال: يا غلام ادفع الجائزة إلى الأصمعي. فلما خرجنا قال لي العباس: كذبتني وأبطلت جائزتي! فقلت: أتذكر يوم كذا. ثم أنشأت أقول:

إذا وترت امرأ فاحذر عداوته ... من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً^(١)

- المبادرة والتخطئة من سوء الادب

إن المبادرة في السؤال والتوجه الى الآخر بقصد الايذاء والتخطئة والتقليل من شأنه ضرب من سوء الادب والوقاحة في الخطاب، جاء في مجلس يعقوب مع أبي نصر صاحب الأصمعي، إذ روى الزجاجي تلك الواقعة بقوله: ((قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كان أبو نصر صاحب الأصمعي يمل شعر الشماخ، وكنت أحضر مجالسه، وكان يعقوب يحضرها قبلي، لأنه كان قد قعد عن مجالسهم وطلب الرياسة، فجاءني إلى منزلي فقال: اذهب بنا إلى أبي نصر حتى نققه على ما أخطأ وصحف فيه من شعر الشماخ، فإنه أخطأ في بيت كذا وصحف في حرف كذا. قال: وأنا ساكت، فقال: ما تقول؟ فقلت: ليس يحسن هذا، أمس نرى على باب الشيخ نسأله ونكتب عنه، ثم

نصير إليه لتخطئته وتهجينه؟ فخرج الشيخ إلينا فرحب، فأقبل عليه يعقوب فقال:
 كيف تنشُد هذا البيت للشماخ؟
 فقال: كذا. قال: فكيف تقول في هذا الحرف من شعره؟ قال: كذا. قال: أخطأت. فلما
 مرت ثلاث أو أربع مسائل اغتاظ الشيخ، ثم قال: يا ماص تستقبلني بمثل هذا
 وتقوى نفسك على مثل هذا، وأنت بالأمس تلزمني حتى يتهمني الناس بك! ونهض
 أبو نصر فدخل بيته ورد بابه في وجوهنا. فاستخذى يعقوب فأقبلت عليه فقلت له:
 تف ما كان أغنانا عن هذا. فأمسك ولا نطق بجلوة ولا مرة.^(١)

وفي رواية أخرى تشي بهجين وتخطئة ابي نصر ((قال ثعلب: كان أبو نصر صاحب
 الأصمعي يمل شعر الشماخ، وكنت أحضر مجالسه، وكان يعقوب بن السكيت يحضر
 قبلي، وكان قد قعد عن مجالسهم، وطلب الرئاسة، فجاءني إلى منزلي، فقال لي:
 اذهب بنا إلى أبي نصر حتى تقفه على ما أخطأ فيه وصحّف من شعر الشماخ، فإنه
 أخطأ في بيت كذا، وصحّف في حرف كذا- وأنا ساكت- فقال: ما تقول؟ فقلت: هذا
 لا يحسن، بالأمس نرى على باب الشيخ نسأله ونكتب عنه، ثم نصير الآن إليه
 لنخطئه ونهجنه! فقال: لا بدّ من ذلك، فمضينا ووقفنا على الباب، فخرج الشيخ
 فرحب بنا، فأقبل عليه يعقوب، فقال: كيف تنشُد هذا البيت للشماخ؟ قال: كذا.

قال: أخطأت. قال: وكيف تقول هذا الحرف من شعره؟ قال: كذا. قال: أخطأت، فلما مر ثلاث أو أربع مسائل اغتاض الشيخ، ثم قال: يا مضان، تقابلني بمثل هذا، وتقوى نفسك على ذلك، وأنت بالأمس تلزمني حتى يتهمني الناسك ودخل بيته وردّ بابه في وجوهنا، فاستخذى يعقوب، فأقبلت عليه، فقلت: ما كان أغنانا عن هذا! فأمسك وما نطق بحرف.)^(١)

- السؤال في غير محله من سوء الادب

هو ان يبادر اللغوي بسؤال ليس في محله وانما الغاية من ذلك تهجين المخاطب امام العامة ومثل ذلك ما فعله يعقوب بن السكيت في مجلس الأثرم علي بن المغيرة ((قال أبو العباس أحمد بن يحيى: كنا عند الأثرم صاحب الأصمعي وهو يمل شعر الراعي، فلما وضع الشيخ الكتاب من يده واستتم المجلس قال يعقوب: لا بد من أن أسأله عن أبيات الراعي. قلت له: لا تفعل، فلعله لا يحضره جواب فتكون قد هجنته على رؤوس الملاء. فقال: لا بد من ذلك. ثم وثب فقال: ما تقول في بيت الراعي:

وأفضن بعد كظومهن بجرة ... من ذي الأبارق إذ رعين حقيلا

قال: فتلجلج الشيخ، وتنحنح ولم يجب بشيء. فقال له: فما تقول في بيته:

كدخان مرتجلٍ بأعلى تلعة ... غرثان ضرم عرثا مبلولا

قال: فعاد الشيخ إلى تلك الصورة، ورأينا في وجهه الكراهية والإنكار ومر شيء من الأمثال فقال الأثرم: ((ممثل استعان بدفيه)) ، فقال يعقوب: هذا تصحيف: إنما هو ((بدقنه)). فقال الأثرم: إنه يريد الرياضة بسرعة. ودخل بيته. ومعنى المثل أن البعير إذا حمل عليه فأثقله الحمل مد عنقه واعتمد على ذقنه، فلا يكون له في ذلك راحة. فيقال للرجل إذا تكلف أمرا أو ينزل به أمر يغلظ عليه فيضعف فيه، فيستعين عليه بن هو أضعف منه وأعجز.^(١)

- الترشق بالالفاظ والسب من سوء الادب

إن الترشق باللفظ المرغوب عنه او ما يوصف بهذا الوصف هو ضرب من سوء الادب في الخطاب وجاء مثل ذلك في مجلس أبي حاتم مع التوزي عند الأخفش قال ((حدثني أبو جعفر أحمد بن عبد الله قال: حدثني أبي عبد الله بن مسلم قال: حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد قال: كنت عند أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، وعنده التوزي، فقال لي: يا أبا حاتم، ما صنعت في كتاب المذكر والمؤث؟ قلت: قد عملت في ذلك شيئا. قال: فما تقول في الفردوس؟ قلت: مذكر. قال: فإن الله يقول: {هُم فِيهَا خَالِدُونَ} . قلت: ذهب إلى الجنة فأنت. فقال لي التوزي: يا غافل، أم اتسمع الناس يقولون: أسألك الفردوس الأعلى. فقلت له: يا نائم، الأعلى ها هنا أفعل وليس بفعلي.^(٢)، فوصف احدهم الاخر بالغافل والنائم.

(١) مجالس العلماء: ٣٩-٤٠

(٢) مجالس العلماء: ٤١

الفصل السادس
الخطاب النحوي والحجاج

الخطاب الحجاجي كما يصفه ((ديكرو)) ترسله ذات متكلمة هي المسؤولة عنه، وهو يميز في هذا المقام بين المتكلم والمتلفظ على اعتبار ان هذا الاخير يعبر باسم المتكلم عن الآراء المطروحة في الخطاب الحجاجي ، والطبيعة المجردة لهذا المتلفظ بدورها تتيح لمبدع الخطاب والمتكلمين عامة قدرة أكبر على ان تعضد الاليات الدلالية لمقاصد التداولية (البراغماتية) لان المعنى لا يمكن ان يحدد دون الرجوع الى مقاصد القول وحججه^(١). ومن هنا ندرك ان الخطاب النحوي قائم على تلك الذات التي اسهمت في تشكيله إذ تقوم بتقديم الجج والادلة التي تنتهي الى نتيجة معينة ، والذات في الخطاب النحوي هي من تسعى الى تقديم متواليات من المقولات بوصفها حججا لأقناع المخاطب واستمالة اليها.

وقيل إن ((الحجاج هو بذل الجهد لغاية الإقناع ، أنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد استمالة المتلقين في القضايا التي تعرض عليهم ، أو الى زيادة درجة تلك الاستمالة)).^(٢) والقارئ للخطاب النحوي لا يمكن له ان يقف على شيء يوصف بالحجاج او المناظرة او الجدل في متون المطولات النحوية، انما يلحظ ذلك من خلال ما تقدمه ذات الخطاب الى المخاطب من مقولات تعج بالحجج والبراهين التي تدعم اصل الموضوع الذي يراد تبيانه والوقوف على قواعده، فالعملية التواصلية بين النوات العاقلة تقضي العقلانية في تداولية الخطاب، والركون إلى مبادئ ومعايير

(١) - الحجاج في البلاغة المعاصرة: د. محمد سالم محمد الامين الطليبة : ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) - الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة : ٤

يلتزمها طرفا الخطاب في اطار الكفاية التواصلية والتداولية، أي أنّ طرفي الخطاب لا بد لهما من أن يتفقا ضمناً على تلك المبادئ والمعايير التي تتصف بخصائص منطقية ووظيفية يسبب من الألفاظ التي لا تفارق معانيها، ولا تتزاح عن الأصل التداولي الذي يوظف في بيان الغرض الأساس من توجيه السؤال _ بوصفه خطاباً توجيهياً _ الذي يتطلب الإجابة عنه والوقوف على مضامين تلك المناظرات وما يقابلها من خطاب.

فالمناظرات خطابات موجهة إلى ذات عاقلة أو مجموعة من النوات تدعي المعرفة وقادرة على التواصل مع محيطها الاجتماعي في إطار الكفاية التداولية والتواصلية للخطاب^(١)، ويرى الدكتور رحيم جبر الحسناوي المناظرة أنّها فنٌّ من فنون القول الذي نتج عن اجتماع طرفين من أهل العلم والمعرفة والدراية والرأي في مجلس ما، يكون جلساؤه حكماً بين المتناظرين، وقد تبدأ المناظرة برأي أو سؤال، وتنتهي بانقطاع حجج أحد الطرفين واعترافه، وتكون الغلبة للآخر^(٢)، والمناظرة في هذه الحال تكون ((خطاباً استدلالياً يقوم على المقابلة والمفاعلة الموجهة))^(٣)، فهي مجموع خطابات تمثلت ببنية لغوية وقواعد تضبط سلوك طرفي الخطاب، زيادةً عن ذلك نجد من صدرت عنهم تلك الخطابات يستعملون استراتيجيات معينة لما يقتضيه

١ - ينظر الدخّل إلى فن المناظرة، للدكتور عبد اللطيف سلامي، مؤسسة قطر للنشر، الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١٤م: ٤٥.

٢ - ينظر المناظرات اللغوية والأدبية في الحضارة العربية الإسلامية، الدكتور رحيم جبر أحمد الحسناوي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، الطبعة (الأولى) لسنة ١٩٩٩م: ٥٤.

٣ - خطاب المناظرة في الأدب الأندلسي من القرن الرابع إلى نهاية القرن الثامن الهجري، د. محمد أبحر، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن - عمان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٦م: ١٣، وينظر المناظرة في الأندلس، الأشكال والضامين، د: امنه بن منصور، دار الكتب العلمية - بيروت

لبنان - الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١٢م: ١١.

السياق التداولي للمناظرة، فهي ((ممارسة حوارية قائمة على التفاعل بين متخاطبين يشتركان في صنع المعرفة عبر مسار حجاجي))^(١).

ولبيان ذلك سنعمد الخطاب الحجاجي لصاعد بن الحسن وردود افعاله مثالا صالحا لتبيان مقومات مقومات و استراتيجيات الخطاب النحوي الحجاجي في المناظرة اللغوية، فجا خطاب بشار الأعمى الأندلسي النحوي^(٢) والعاصمي محمد بن عاصم النحوي القرطبي^(٣) والزيدي محمد بن الحسن النحوي أبي بكر المتوفى "٣٨٠هـ"^(٤) جلساء المنصور بن محمد بن أبي عامر^(٥) لصاعد بن أبي الحسن^(٦) مادة تحليلية تقف من خلالها على جملة مقومات واستراتيجيات خطابية في تلك المناظرات، لعلنا نقدم للقارئ عملاً إجرائياً يمكن الاستفادة منه في تحليل خطاب اللغوية وتفكيكه بعيد عن المثال الافتراضي الذي جيء به في مغان الكتب والدراسات التي عنيت بموضوعة الخطاب.

١ - بلاغة الاقناع في المناظرة، للدكتور عبد اللطيف عادل، دار ضفاف - بيروت - لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٢ - قال عبد الله بن محمد الحميدي صاحب كتاب جذوة المقتبس في ترجمته لبشار: "ذهب عني نسبه، كان نحويًا استاذًا في اللغة، ينظر جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي (ت٤٨٨هـ) تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس- الطبعة (الأولى) لسنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ٢٥٨

٣ - ينظر جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس: ١٢٢.

٤ - ينظر المصدر نفسه: ٧٣-٧٤.

٥ - مؤسس الدولة العامرية في دانية وميورقة وأطرافهما، رومي الأصل. ولد بقرطبة. ورياه المنصور بن أبي عامر مع مواليه، فنسب إليه، وتلقب بالموثق بالله، وكان حازماً يقظاً شجاعاً، عارفاً بالأدب وعلوم بعض مؤرخيه القرآن، نعتته بفتى أمراء دها وأديب ملوك عصره. وهو من ملوك الطوائف بالأندلس

بعد انقراض الدولة الأموية. ينظر كتاب الاعلام لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - الطبعة (١٥) لسنة: ٢٠٠٢م: ٢٧٨/٥

٦ - ينظر الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم بن بشكوال (ت٥٧٨هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي- تونس، الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١٠: ٣٢١/١. وينظر معجم الادباء (ارشاد الأريب لمعرفة الاديب، لأبي عبد الله

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م: ٤١٥/٣.

وتعد مناظرات صاعد بن الحسن من الضرب الثاني^(١) المعروف بـ" المناظرات الإمتحانية"، إذ تقوم على مساءلة أهل التهمة والإدعاء، وهذا ما كان في المناظرات الدينية والعقدية، وقد تسربت مضامينها إلى المناظرات اللغوية، فهي قائمة على كشف عورات المخاطب اللغوية، وإجباره على الإقرار على نفسه بالخطأ.

والمناظرات في هذه الحال لا تهدف إلى إظهار الحق والتماس جادة الصواب، وإنما تسعى إلى الإطاحة بالمخاطب من خلال الأسلوب القائم على تبادل السؤال والجواب اللذين يسهمان في تنوع بنيتها الخارجية^(٢).

لا شك في أن مستعمل اللغة يمتلك طرائق لغوية خاصة تميّزه عن غيره في أثناء العملية التواصلية التي هي نتاج فعل إرادي مضرّف بـ"زمان ومكان محددين" يمثّلان محيط ذلك السياق الفعلي، ولما كان الفعل اللغوي الإرادي وبصفة العموم من حيث طبيعته الإنجازية مختلفاً باختلاف المقاصد، فمستعمل اللغة يتوجه إلى طرائق مختلفة فيها شيء من التخصص حينما تتسق مع سياق ما بوصفه ((مجموعة من الظروف التي تحف حدوث فعل التلفظ بموقف الكلام))^(٣) زيادةً على ذلك الجانب التفاعلي المنسق بين مستعلي اللغة، وهذه الطرائق تعرف بـ"الاستراتيجية"

١ - كون الضرب الأول قائماً على المفاضلة، إذ يتعلّق بالتناظر في ذكر الخصال المحمودة والمذمومة، والتنافس إظهار النقصان والرجحان. ينظر: فن المناظرة في الأدب العربي دراسة اسلوبية - تداولية، باشا محمد العيادي، دار كنوز المعرفة العلمية، الاردن- عمان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م. ١٦٩.

٢ - ينظر فن المناظرة في الأدب العربي دراسة اسلوبية - تداولية: ٢٧٤.

٣ - استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب. دار الكتاب الجديد، الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠٠٤م: ٤١

التي تمثل مجموعة الوسائل اللغوية التي يتوسلها المتكلم، ويُحدثُ بينها تفاعلاً ويوظفها في تحقيق المقاصد الصريحة والضمنية^(١).

وفي هذه الحال نجد مستعمل اللغة يُعنى بتلك الوسائل والمقومات التي تسير في اتجاهين متوازيين، الأول يتمثل في الكفاية اللغوية ومعجم المتكلم، وهذا ما يكون في مرحلتين ما قبل التلفظ بـ"الفعل اللغوي"، والثاني يمثله فعل التلفظ (الكلام الخطاب- النص- العبارة- الجملة) وما يصاحبه من ظروف، ونتيجة ذلك نجد الاستراتيجية تتنوع بتنوع العناصر السياقية التي سعى إليها مستعمل اللغة، فهو الذي يجلُّ مجموع السياقات- الفعلية و الاقتضائي و الموقفية واللغوية وغير اللغوية وسياق المقام- ، ويخطط لها، ليختار من الإمكانيات ما يفي بما يريد فعله حقاً، ويضمن له تحقيق أهدافه^(٢).

إنَّ استراتيجية مستعمل اللغة وطريق رصف الكلمات وصياغة العبارات بما يتناسب والحدث اللغوي وسياقه، تشي بالكفاية اللغوية لمستعمل اللغة قبل فعل التلفظ بخطابه، فهي المعرفة بطرائق تركيب الجمل في ضوء معيارية القوالب القواعدية في ذهنه.

والكفاية اللغوية في الخطاب اللغوي لا تختص بطرفٍ دون آخر من طرفي الخطاب بل تتسع وتمثلُ بهما معاً (المُخَاطَب والمُخَاطَب) ويستعمل مفهوم (الكفاية اللغوية)

١ - ينظر الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجرياً، مقارنة أسلوبية حجاجيه، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت- لبنان - الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١١م: ٣٣٢.

٢ - ينظر استراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي الشهري: ٤١- ٥٣.

إلى جانب (الكفاية التواصلية) لكونها تتمثل بـ ((مقدرة المتكلم على إنتاج منطوقات مناسبة لأنماط المواقف الاتصالية المختلفة، لإنتاج جمل نحوية))^(١)، وهذا لا يعني أن الكفاية التواصلية ستحلُّ بدلاً من الكفاية اللغوية بل هي قوانين تواصلية تصف ما يستحسن فعله بعد ما قدمت الكفاية اللغوية قوانينها التي تمثل بها المُخاطَبُ و المُخاطَبُ في عملية التخاطب، ومن ثمَّ يعتمد المحلل اللغوي الكفاية التداولية التي تتمثل في المُخاطَبُ ومدى وعيه في تحديد العناصر الرئيسة للخطاب بوصفه ممارسة تواصلية تجري تداولياً في السياق^(٢)، ويرى عبد الهادي الشهري أن ((الكفاية اللغوية لا تهض لوحدها بعملية التواصل المناسب للسياق، بالرغم من كونها أساساً فيها، وذلك لأنَّ الكفاية التداولية هي التي تستثمر تلك القوالب الكامنة في ذهن الانسان، بما في ذلك كفاءته اللغوية، بما تفرضه من قوانين حسب مظاهر السياق، وما يستحسنه المرسل، ففيها تتبلور جميع المعطيات من معطيات لغوية و معطيات سياقية أخرى))^(٣)

ففي المناظرات اللغوية نجد طرفها الأول (المُخاطَب) الذي يبحث عن المعرفة اللغوية أو إثبات أمر ما _ وهذا ما ستفصح عنه الدراسة التحليلية _ قد قيد نفسه بأمرين هما : التصد في الخطاب والذهاب به إلى غايته، وتحديد أدواته اللغوية و وسائله

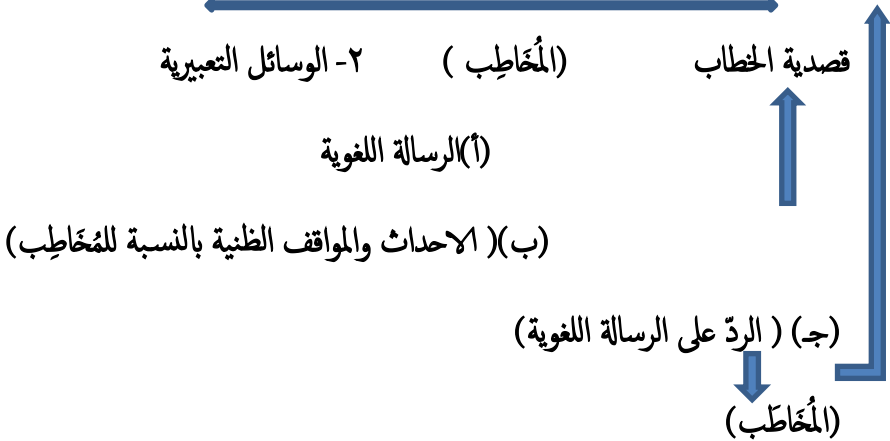
١ - النض والخطاب والاتصال، لمحمد العبد، الأكاديمية الحديثة لكتب الجامعة القاهرة - الطبعة (الأولى) لسنة - ٢٠٠٥ : ٤٩.

٢ - ينظر استراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي الشهري: ٤٠.

٣ - استراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي الشهري: ٥٩.

التعبيرية التي أشرنا إليها في موضوعة الكفاية اللغوية والكفاية التواصلية، وهذان الأمران من مقومات استراتيجية الخطاب، فالأمر هنا لا يقتصر على (المُخاطَب) بل تتشكل تلك المقومات في ذاتية (المُخاطَب) في مرحلة تلقي الرسالة اللغوية من (المُخاطَب) للردِّ عليه والدفع بما يريد إثباته، وفي تلك المرحلة يمثل (المُخاطَب) بؤرة لفظية مشحونة لا يمكن للطرف الأول (المُخاطَب) من معرفة ما يحدث، وما يصاحبه من فعل لغوي عند ما يستقبل المُخاطَب الرسالة اللغوية، وتمثل هذه الحال مدة زمنية تتصارع فيها الاحداث الظنّية والمفترضة التي تسبق ردّة فعل المُخاطَب على صاحب الرسالة اللغوية ((وهذا يستوجب معرفة دقيقة بمقام الخطاب ومختلف الأبعاد المؤثّرة في العملية الخطّائية))^(١).

مقومات استراتيجية الخطاب



ويتجلى هذا التقسيم عند التلفظ بالخطاب بوصفه منجزاً ((مخطأً له، بصفة مستمرة وشعورية، ومن هنا يتحتم على المرسل أن يختار الاستراتيجية المناسبة))^(١)
والاستراتيجية في تداولية خطاب المناظرات أنواع:

الاستراتيجية التوجيهية أو ما يعرف بـ"التصريحية" التي تكون في قبال الاستراتيجية التلميحية، فالتصريحية في المناظرات يمثلها اللغوي الذي اكتسب سلطته من ظروف المقام، ويتسم خطابه بالقوة كونه صاحب سلطة، ومن هنا يصتبع الخطاب في هذه الحال بصيغة تعليمة و توجيهية أو تسفيه لرأي المُخاطَب في ما نقل عنه من قبل، فتجري الأساليب الإنشائية في ذلك الخطاب كاشفة الدور السلطوي الذي يمارسه المُخاطَب.

ويرى عبد الهادي الشهري أنّ ((الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهية يعد ضغطاً وتدخلًا، ولو بدرجات متفاوتة على المرسل إليه، وتوجيهه إلى فعل مستقبلي معين))^(٢)

اما التلميحية ((هي التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثراً في ذلك عناصر السياق))^(٣)

١ - استراتيجيات الخطاب، لعبد الهادي الشهري: ٥٦.

٢ - استراتيجيات الخطاب: ٣٢٢.

٣ - استراتيجيات الخطاب: ٣٧٠.

ويستثمر المُخاطَب كفاءته التداولية عندما يقوم بإنتاج خطابه المبني على الاستراتيجية التلميحية أي أنه يسلك طريقاً في القول والافتتان، ويقصد منها ما هو خلاف الوضع اللغوي قاصداً السخرية أو التهكم أو التشبيه، وهذه من الإمكانيات المتاحة بوصفها آليات وأدوات الاستراتيجية التلميحية، ولكل منها خصائصها ونظامها الذي يسهم في تجسيد العلاقة بين المنطوق والمفهوم^(١).

استراتيجية التأدب التي تكون مقابل استراتيجية الجفاء أو المراوغة، وهي ما تتمثل بالسلوك الفردي لمنبج الخطاب من خلال انخراطه في سياق معين، باستعماله العلامات اللغوية وغير اللغوية ليمارس بها خطابه، ومن هنا يوصف هذا السلوك بالسلوك التأدبي، أو بالسلوك العدواني^(٢)، ومن الممكن أن تكون هذه الاستراتيجية فرعاً على الاستراتيجية التلميحية، ومن أهم مسؤولياتها في الخطاب^(٣).

عن بشار الضرير النحوي الأندلسي وكان يعرف بـ "بشار الأعمى"^(٤) أنه كان في حضرة المنصور بن محمد بن أبي عامر، مجاهد بن يوسف- أو بن عبد الله- العامري المعروف بـ "الموفق" ت(٤٣٦ هـ)^(٥) وأراد أن ينال من أبي العلاء صاعد بن

١ - ينظر المصدر نفسه: ٣٨٤.

٢ - ينظر استراتيجيات الخطاب: ٥٥

٣ - ينظر المصدر نفسه: ٣٧١.

٤- ينظر بغية المتلمس في تاريخ رجال الاندلس: ٣٠٧-٣٠٨ وينظر انباه الرُواة على انباه النحاة، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ت(٦٤٦هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠٠٥م. : ٢٤٣/١.

٥ - ينظر كتاب الاعلام لخير الدين الزركلي: ٢٧٨ / ٥ .

الحسن بن عيسى الربيعي الموصلبي الأصل البغدادي اللغوي الأديب المتوفى سنة (٤١٧ هـ)^(١)، في مجلس عقده المنصور بن محمد بن أبي عامر.

قال أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبيّ (ت ٥٩٩ هـ): قال الحميدي: ((أخبرني بها أبو محمد عبدالله بن عثمان الفقيه، قال: لما ورد أبو العلاء، دانية وافتأ على الأمير الموفق، وكان يوصف بسرعة الجواب فيما يُسأل عنه، قال بشار للموفق: أيها الأمير، أتريد أن أفضح أبا العلاء بحضرتك في حرف من الغريب لم يسمع قط؟ فقال له الموفق: الرأي لك ألا تتعرض له، فإنه سريع الجواب، وربما أتى ما تكره. فأبي إلا أن يفعل. فلما اجتمعوا عنده، واحتفل المجلس قال بشار: أبا العلاء! قال: لبيك، قال: حرف من الغريب، قال: قل، قال: ما الجرئفل في كلام العرب؟ قال: ففطن له أبو العلاء، فأطرق، ثم أسرع فقال: هو الذي يفعل بنساء العميان- لا يكنى-، ولا يكون الجرئفل جرئفاً حتى لا يتعداهنّ إلى غيرهن. فحجل بشار وانكسر، وضحك من كان حاضراً، وتعجب. وقال له الموفق: قد خشيت عليك مثل هذا))^(٢)

قال جمال الدين القفطي (ت ٦٤٦ هـ): ((قال بشار للموفق: أيها الأمير، أتريد أن أفضح أبا العلاء بحضرتك في حرف من الغريب لم يسمع قط؟ فقال له الموفق: الرأي لك ألا تتعرض له، فإنه سريع الجواب، وربما أتى ما تكره. فأبي إلا أن يفعل. فلما اجتمعوا عنده، واحتفل المجلس قال بشار: أبا العلاء! قال: لبيك، قال: حرف من

١ - ينظر الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: ٣٢١/١. وينظر معجم الادباء (إرشاد الأريب لمعرفة الاديب، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م: ٤١٥/٣.

٢ - بغية التلمس في تاريخ رجال الاندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي ت (٥٩٩ هـ) تحقيق: ابراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة (١) لسنة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م: ٣٠٧/١ - ٣٠٨. وينظر جذوة القتبس في تاريخ علماء الاندلس: ٢٥٨.

الغريب، قال: قل، قال: ما الجرئفل في كلام العرب؟ فظن له أبو العلاء، فأطرق، ثم أسرع فقال: هو الذي يفعل بنساء العميان - لا يكنى -، ولا يكون الجرئفل جرئفلاً [حتى] لا يتعداهن إلى غيرهن. فحجل بشار وانكسر، وضحك من كان حاضراً، وتعجب. وقال له الموقق: قد خشيت عليك مثل هذا ((^(١))

وروي في نفع الطيب لأحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١هـ) ((كان في المجلس أديب يقال له بشار، فقال للموقق: دعني أعبث بصاعد، فقال له: لا تتعرض إليه، فإنه سريع الجواب، فأبى إلا مُساءلته، وكان بشار أعمى، فقال لصاعد: يا أبا العلاء ما الجرئفل في كلام العرب؟ فعرف صاعد أنه وضع هذه الكلمة، وليس لها أصل في اللغة، فقال بعد أن أطرق ساعة: الجرئفل في اللغة الذي يفعل بنساء العميان ولا يتجاوزهن إلى غيرهن، وهو في ذلك كله يصرح ولا يكنى، فحجل بشار وانكسر، وضحك من كان حاضراً، فقال له الموقق: قلت لك لا تفعل. فلم تقبل.))^(٢)

خطاب بشار الأعمى النحوي الأندلسي للمنصور بن أحمد العامري الذي رواه من اجتهد لرواية فيه اختلاف لفظي بين "أفضح وأعبث" و "أتريد، ودعني" نجاء الخطاب الأول ((أيها الأمير، أتريد أن أفضح أبا العلاء بحضرتك في حرف من الغريب لم يسمع قط؟))^(٣)، والثاني ((فقال للموقق: دعني أعبث بصاعد، فقال له: لا تتعرض إليه، فإنه سريع الجواب، فأبى إلا مُساءلته،))^(٤)

١ - وينظر انباه الرواة على انباه النحاة: ٢٤٣/١.

٢ - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب، للشهيد احمد بن محمد المقرئ السلمساني، تحقيق: احسان عباس، دار صادر - بيروت: ٨٤ / ٣.

٣ - ينظر انباه الرواة على انباه النحاة: ٢٤٤ / ١.

٤ - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب: ٨٤/٣.

أبو العلاء صاعد بن الحسن معروف عند بشار الأعمى النحوي معرفة جيدة، وهو يمثل المُخاطَب المعين الحاضر، فالتوجيه يختص به دون غيره، إلا أنَّ بشاراً رغب في حضرة الأمير مجاهد بن يوسف من أنَّ يسمو بمنزلته الذاتية رغبة في الاستعلاء، ويكتسب المشروعية لسلطته على صاعد بن الحسن، لذلك قصد إلى هذه الألفاظ لكونه يُخَيِّر الأمير بفضح صاعد بن الحسن، وطلب العبث به في مجلسه، ومن هنا نجد المُخاطَب (بشاراً) قد قصد قصده إلى مدلول خطابه، وهذا ما يفهم من تتبع شخصية أبي العلاء.

إذ يروى عن أبي العلاء أنَّه كاذبٌ فيما يروي من اللغة، كونه أَلْفَ كتاباً سماه "الفصوص في الأدب والأشعار والأخبار" على سميت كتاب النوادر لأبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي المتوفى (٣٥٦ هـ) المعروف بـ "الأمالي" وأراد أن يكون هذا المصنف أرفعَ قدرًا و أجلَ خطراً من كتاب أبي علي إسماعيل القالي، دون أن يورد فيه خبراً مما قال به أبو علي القالي، واعتمد روايات وأخباراً لم يسمع عنها الأندلسيون من قبل، فتصدى له بعض أهل العلم والدراية في اللغة، وقالوا إنَّه لا يحمل في كتابه إلا الأكاذيب^(١).

قال أبو القاسم بن بشكوال إنَّ أبا حيَّان القرطبي المتوفى سنة (٤٦٩ هـ) وهو أحد تلاميذ صاعد بن الحسن الرُّبَيعي قال: ((وجمع أبو العلاء للمنصور محمد بن أبي عامر كتاباً سماه " الفصوص في الأدب والأشعار والأخبار"...و أتابه عليه بخمسة آلاف

١ - ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢ هـ) تحقيق : د. احسان عباس، دار

الثقافة - بيروت - لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م: القسم الرابع / مج ١ : ١٥

دينار دراهم في دُفعة، وأمره أن تُسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب سنة خمس وثمانين وثلاث مئة، واحتشد له من جماعة أهل الأدب و وجوه الناس أُمَّة. وقال ابن حيان : وقرأته عليه مُنفرداً في داره...^(١) و روي عن الخولاني أنه ذكر هذا الخبر وزاد فيه أنه اجاز له ما رواه وألفه^(٢).

فمن خلال هذه الروايات ندرك أن صاعداً بن الحسن قد أتهم بالكذب والتدليس، فأراد بشار أن يناظره في اللغة ويكشف للجمهور في حضرة المنصور بن محمد بن أبي عامر أنه كاذب. بشار الأعمى في هذه المناظرة عمد إلى الاحتيال مرتين، الأولى خطابه الموجه إلى المنصور أنه يريد ما يريده المنصور نفسه من فضح صاعد بن الحسن في المجلس، فاعتمد هذا المسلك في الخطاب لأجل الوصول إلى مبتغاه، وهو قبول الأمير طلبه (دعني أعبثُ. – أتريد أن أفضح أبا العلاء؟)، والثاني الاحتيال على صاعد ومن في حضرة الأمير؛ لأنه سيدفع بحرف من اللغة لم تتكلم به العرب قط. فكان يقصد من ذلك تسقيط وتهميش صاعد بن الحسن، وهذا الأمر من مسوغات الاستراتيجية التوجيهية^(٣)، لأنَّ المُخاطَب يريد التأثير في نفسية المُخاطَب "صاعد" حينما يقول الأخير: لا أعلم. فقال المنصور بن محمد بن أبي عامر لبشار الضمير: ((الرأي لك ألا تتعرض له، فإنه سريع الجواب، وربما أتى ما تكره))^(٤)، وفي رواية فصح الطيب: ((فقال له: لا تتعرض إليه)).

١ - الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم: ٣٢٢ / ١

٢ - ينظر المصدر نفسه: ٣٢٢ / ١.

٣ - ينظر استراتيجيات الخطاب (مسوغات استعمال الاستراتيجية التوجيهية): ٣٢٨

٤ - انباه الرواة على انباه النحاة: ٢٤٣ / ١.

إنَّ قول المنصور: " لا تتعرض إليه " و " وربما أتى ما تكره " يفصح عن معرفة المنصور بكفاءة صاعد بن الحسن التداولية، وعدم التصريح لبشار الأعمى بأنَّ ثمة تفاوتاً في الكفاية اللغوية والتواصلية بينك وبين صاعد بن الحسن * لأنك ستقف عاجزاً دون تحقيق هدفك.

خطاب الأمير المنصور بن محمد لبشار الأعمى تمثل بـ " الاستراتيجية التلميحية "، وسبب الذهاب في هذا الاتجاه هو البعد الذاتي للأمير، أي صيانة الذات عن التلفظ بما يسيء إليها أو بما يعكس دناءة المُخاطَب في أذهان المجلس^(١)، ولا سيما أنه أشار إلى مواقف ظنية ستكون أشدَّ وقعاً على بشار الأعمى.

فقل إنَّ بشار الضرير أبي إلا أن يفعل^(٢)، أي أنَّه ذاهبٌ إلى مُساءلة صاعد بن الحسن.

قال بشار: أبا العلاء قال: لبيك، قال: حرف من الغريب، قال: قل، قال: ما الجرنفل في كلام العرب؟

* - كان المنصور بن محمد العامري عن دراية بكنائه ابن الحسن بن عيسى الصاعد أولاً، كونه عارفاً باللغة وفنون الادب والاخبار، فهو البغدادي اللغوي اخذ علمه عن القاضي أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي المتوفى سنة(٣٦٨هـ). وعن علي الحسن بن احمد الفارسي المتوفى سنة(٣٧٧هـ) وأبي سليمان علي الخطابي المتوفى سنة(٣٨٠هـ) وغيرهم، زيادةً على ذلك كان سريع الجواب، وحسن الشعر، وطيب المعاشرة متمتع المجالسة() ثانياً جمع ابن الحسن كتابا في الغريب ودفعه إلى المنصور بن محمد، وقد علم ما فيه من الغريب وكافئه عليه وقد تقبله اهل الاندلس وحفلوا به وانتفعوا بما كان فيه، واجاز روايته لأبن حيَّان القرطبي. ينظر معجم الادباء (ارشاد الأريب لمعرفة الاديب: ٤١٦/٣. وينظر انباه الزوارة على أنباه النحاة: ٨٥-٨٦. وقد قال ابن بسام: ((وما حسب أنَّ احداً يجتريء على أخراج تصنيف وأبداء تأليف، يضيق عنه التعديل، ويدفع في صدره النقد والتحصيل، ولا سيما صاعدُ علم أنَّ قرطبة ميدانُ جباد، ويلدُّ جدال وجلاذ، لكنه اشترط غير المشهور، فلم يظفروا منه بكثير، وأعانهم هو على نفسه بما كان ينطق به من تنخله وكذبه))

الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة: القسم الرابع/ مج ١: ١٦

١ - ينظر استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٣٧١.

٢ - ينظر المصدر نفسه: ١/ ٢٤٣.

إنَّ تحليل هذا الخطاب وما صدر عن بشار الأعمى يشعر المتلقي _ الجمهور _ بأنَّ بشاراً يسعى إلى تأسيس علاقة شراكة كون بضاعتها اللغة، فهنا سعى بشار إلى تأسيس هذه العلاقة بطريقة التلفظ بالخطاب الذي افتتحه بـ " أبا العلاء " ثم قال " حرف من الغريب " لأنَّه يعلم بأنَّ صاعداً عالم بالغريب. فهذا الخطاب بني على استراتيجية تضامنية، جعل من صاعد واثقاً إلى حدِّ أنَّ بشاراً يميل إليه ويريد الإفادة من معرفته بالغريب، لذلك ما كان قول صاعد إلا أن قال: " لبيك - ثم قال: قل. " ، وهذا اللون من الخطاب يمثل عين التأدب فيه ((إذ إنَّ مقتضاه أن يأتى المتكلم بفعل القول على الوجه الذي يبرز به دلالته القريبة ويقوي أسباب الانتفاع العاجل به، ومعلوم أنَّ كل تبادل بين طرفين يكون مبناه أساساً على سعي كل منهما إلى تحقيق أغراض تكون مشتركة أو متساوية بينهما))^(١) وهذا ما كان يظنه صاعد بن الحسن ومن كان في حضرة الأمير.

قال بشار : ، قال: ما الجرئفل في كلام العرب؟

استعمل بشار العلامة اللغوية في خطابه من أجل الوصول إلى هدفه الذي صرح به للأمير في قوله: أفضح أبا العلاء ... وأعبث بصاعد.

إنَّ السؤال في هذه المناظرة الامتحانية جاء مُلغزاً قابلاً للتأويل يحتمل أكثر من جواب في ذهن صاعد بن الحسن، وجواباً واحداً في ذهن بشار، ولم يدرك بشار أنَّ صاعداً أحضر جواباً وأحسن بديهية، وكان صاعداً قبل السؤال مشدوداً إلى صاحبه رغبة في التواصل معه، لكن بعد التلطف به سعى صاعد إلى افضاله وخذلانه؛ لأنَّ بشاراً في هذه الحال عمد إلى التحايل والتغطية والتعمية عمّا يريد الوصول إليه، زيادةً على ذلك قام بالنكوص عن مبدأ التعاون الذي اسس له مع صاعد، وقام بخرقه، إذ جعل من خطابه مشاركة لغوية غير منتجة؛ لأنَّه صرح بذلك للأمير قبل فعل التلطف ((أيها الأمير، أتريد أن أفصح أبا العلاء بمحضرتك في حرف من الغريب لم يسمع قط؟))^(١) أي بحرف لا وجود له في لغة العرب، والأمر الآخر خرق مُسلمة الكيف^(٢) التي تنص على أنَّ لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ((وحاول أن تجعل إسهامك التخاطبي صادقاً))^(٣) وبشار الأعمى في هذه الحال كان خطابه على غير ما كان يعتقده صاعد بن الحسن والجمهور.

١ - ينظر انباه الرواة على انباء النحاة: ١ / ٢٤٤.

٢ - ينظر التداولية عند علماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠٠٥م: ٣٣

٣ - في اصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي - الدار البيضاء - المغرب، الطبعة (الثانية) لسنة ٢٠٠٠م: ١٠٤

قد مارس بشار تضليلاً لمقاصده الخطائية التي هي أساس العملية التواصلية بين طرفي الخطاب، علما تنطلي على صاعد بن الحسن، وبات ينتظر صاعداً ماذا يقول في هذا الحرف؟

الراوي يقول: ((قال: ففطن له أبو العلاء، فأطرق ثم أسرع...)) وفي رواية أخرى قال: ((فعر صاعد أنه وضع هذه الكلمة، وليس لها أصل في اللغة، فقال بعد أن أطرق ساعة..)).

أدرك صاعد بن الحسن أن بشاراً قد استعمل دالاً لم يخضع للمواضعة اللغوية، ولم يجد فيه أي علاقة لغوية من الممكن أن تحدد مقصدية اللفظ، ومن هنا أدرك المنصور بن محمد العامري هذه الحقيقة، وما سيكون حال بشار الذي نقل علامة لغوية من حيز الخلو من المعنى إلى حيز المعنى الافتراضي الذي سيتحكم به صاعد في خطابه ردّاً على ما كان يقصده بشار من هذه المحاورة، لأنّ من الضروري أن يتضح ارتباط القصد بالعلامة اللغوية عند الاستعمال؛ لينجح المتخاطب في خطابه^(١).

قيل: " أطرق... " أي سكت فلم يتكلم، وأرخی عينه ينظر إلى الارض^(٢)، وهذا خطاب غير لفظي، كونه علم ما كان يخفي بشار الأعمى له، فجأوزه وما عاد يهتم لأمره؛ لأنه أشاح بنظره عنه ليدلل للجمهور بأنّه مجأوزه في هذه الحال، وأسمعوا ما أقول،

١ - استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: ١٨٥.

٢ - ينظر تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر اسماعيل بن عماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، القاهرة،

الطبعة (الأولى) لسنة ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م: ٤/ ١٥١٦

وليس الأمر أنَّ الصمتَ في هذه الحال تسليمٌ أو رغبةٌ في التنصل أو التهرب من إلزام الحجة لبشار الأعمى^(١).

قال صاعد بن الحسن: " هو الذي يفعل بنساء العميان لا يكتفى، ولا يكون الجرجفل جرجفلاً حتى لا يتعداهنَّ إلى غيرهن".

فعمد في خطابه إلى اعلاء ذاته على حساب بشار الأعمى وإضفاء التفوق عليه، وجعل للجرجفل مدلولاً لغوياً حقله المسكوت عنه، وجعله فاعلاً بنساء العميان خاصة للانتقاص من قدر بشار واحتقاره، وفي ذلك خرق لضوابط و آداب المناظرة^(٢) لكونه جاء بالقول غير المهذب، ولجأ إلى الطعن والتجريح، وهو في هذه الحال اعتمد استراتيجية التلميح عندما عرَّض ببشار الأعمى، زيادةً على ذلك نجد صاعداً قصد و وظَّف كفاءته اللغوية في اختيار الألفاظ وطريقة سبكها لاسيما حرفا " الباء" و " حتى" اللذان قيذا دلالة وفعل الجرجفل.

و قال أبو عبد الله ياقوت الحموي(ت ٦٢٦هـ) ((ومناظراته - الضمير يعود على الحسين بن الوليد ابن نصر المعروف بابن العريف- مع أبي العلاء صاعد اللغوي البغدادي مشهورة، فمن ذلك أنَّ المنصور جلس يوماً وعنده أعيانٌ مملكته من أهل العلم، كالزبيدي صاحب الطبقات، والعاصي وابن العريف... وغيرهم، فقال لهم المنصور: "هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنَّه متقدم في هذه العلوم، وأحبُّ أن يُمتَحَنَ.

١ - ينظر ادوار الحوار -الصمت- من كتاب بلاغة الاقتناع في المناظرة، للدكتور عبد اللطيف عادل، مشورات صفاف، بيروت- لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

٢ - ينظر آداب الحوار والمناظرة، لدكتور علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القصورة- مصر، الطبعة (الأولى) لسنة ١٩٩٨م: ٦٧.

فوجه إليه ، فلما مثل بين يديه، والجلس قد غصّ بالعلماء والأشرف، نجل صاعد واحتشم، فأدناه المنصور ورفع محله، وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيد السيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيوييه، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة بالكتاب، فلم يحضره جوابها واعتذر بأن النحو ليس جلّ بضاعته. فقال الزبيدي فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب. قال فما وزن أولئك؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يُسأل عن هذا؟ إنما يسأل عنه صبيان المكتب. فقال الزبيدي قد سألتك ولا نشك أنك تجهله، فتغير لونه، فقال: وزنه أفعال. فقال الزبيدي: صاحبكم مخرق. فقال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية؟ فقال له أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعنى وعلم الموسيقى...^(١)

إن قول المنصور: "هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنه متقدم في هذه العلوم، وأحب أن يمتحن" خطاب موجه إلى أعيان مملكته ودولته، وهو خطاب سلطة، وقد تنكر المنصور لصاعد بن الحسن بقوله "هذا الرجل" والأمر في ذا مبتى على خروج عن دور اسم الإشارة في السياق الاجتماعي ومن وظيفتها الدلالية الدالة على المرجع إلى وظيفتها التداولية بانعكاسها مؤشراً على القصد^(٢)، ويمكن أن يكون هذا الضرب من الإشارة والاسناد إشارة للبعيد بلفظ القريب نظراً إلى قرب ذكره من جلساء الأمير^(٣)، أو كما قال السكاكي أبو يعقوب يوسف بن محمد علي (ت ٦٢٦هـ) في مثل

١ - إرشاد الاريب إلى معرفة الاديب (معجم الادباء) ٣/٢١٠.

٢ - ينظر استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٢٨٧.

٣ - ينظر الحاشية على الكشاف للزمخشري، لأبي الحسن السيد الشريف الجرجاني(ت ٨١٦هـ)، حققه و وضع هوامشه،

وفهارسه: الدكتور رشيد بن عمر أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى لسنة ٢٠١٥م: ٢٩٥.

هذا الموضوع من الاسناد ((أما الحالة التي تقتضي كونه اشارة فهي متى صحَّ احضاره في ذهن السامع بواسطة الاشارة إليه حساً، أو اتصل بذلك داع، مثل أن لا يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواها... أو أن تقصد بقره تحقيره واستزاله...))^(١).

إنَّ النظر في هذا الخطاب يفصح عن استزاد الأمير لصاعد بن الحسن لما علق في ذهنه من خبر الكذب والوضع في اللغة الذي لصق بصاعد من قول بعض جلسائه من مناقضته حسداً، زيادةً على ذلك استعمال الأمير للفعل " يزعم " الذي يشي بأنَّ صاعداً يدعي العلم، وهذه الاشارة اللغوية من مسوغات هذا الخطاب، فسعى الأمير من خلال استراتيجية التوجيه إلى تهميش هذا الشيخ البغدادي الوافد على بلاد الأندلس، وهذا ما يتبين من خلال تحليل الحال التي انتهى إليها صاعد عندما مثَّل بين يدي الأمير، والمجلس حافل بالعلماء والاشراف، أدرك صاعد أنَّه قد أُحيط به ، فقيل ظهر عليه التأثر وبدا على وجهه الخجل، ولمح المنصور ذلك فأدناه منه ورفع محله وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيد السيرافي، فزعم أنَّه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه.

أودُّ أن أشير في هذا الموضوع إلى أنَّ الاعمَّ الأغلب من أصحاب التراجم غير متابعين لأهل المشرق و مُكذَّب لصاعد بن الحسين معتمدين الرواية الأندلسية دون تحقيق أو تمحيص، حتى وصل الأمر بأنهم يشككون بأخذه العربية عن أبي سعيد السيرافي،

١ - مفتاح العلوم : لأبي يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) حققه و وضع هوامشه وفهارسه : الدكتور عبد

الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة(الأولى) لسنة ٢٠١٤م : ٢٧٥-٢٧٧.

فيقولون " زعم أنه لقيه.... زيادةً على ذلك ذلك تناقضاتهم في ما روي عنه من مسائلات في رواية الشعر وتفسيره ^(١) .

وما وجدته في مقدمة أبي الحسن علي بن بسام صاحب الذخيرة يشي بمخالفته لأهل المشرق والمتابعة لأخبارهم، إذ قال: ((إلا أن أهل هذا الأفق - يرد بهم الأندلسيين- ، أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة، رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نطق بتلك الآفاق غراب، أو طنَّ بأقصى الشام والعراق دُباب، لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً، وأخبارهم الباهرة، وأشعارهم السائرة... فغاظني منهم ذلك، وأنفثُ مما هنالك، وأخذتُ نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري، وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري...^(٢) ، زيادةً على ذلك ذلك ما فعله صاحب كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس الذي تنكر له وترجم له تحت عنوان "ومن الغرباء" صاعد ابن الحسن ^(٣) .

بعد مبادرة العاصمي لصاعد والسؤال عن مسألة من الكتاب - ولا نعلم ما المسألة- واعتذار صاعد أن النحو ليس جُلُّ بضاعته.

قال الزبيديُّ لصاعد بن الحسن: ((فما تحسن ايها الشيخ؟)) أسس الزبيدي مناظرة الامتحانية المركبة على تبادل السؤال والجواب(٤) فعمد إلى التأدب كاستراتيجية في

١ - ينظر بحثنا "مسائلات صاعد بن الحسن النثرية"

٢ - الذخير في محاسن اهل الجزيرة: القسم الأول: ١ / ١٢٠.

٣ - ينظر الصلة في تاريخ ائمة الاندلس : ١ / ٣٢١

٤ - ينظر: فن المناظرة في الادب العربي دراسة اسلوبية - تداولية: ٢٨٩

خطابة التضامني مع صاعد بن الحسن، وهو سعى إلى ذلك بغية التقارب فيما بينهما، وهو خيار قصده الزبيدي سيوضح أكثر في ختام المناظرة.

وجاء خطاب الزبيدي فيه شيء من التلميح أنه لا يحسن شيئاً من العربية، فأراد أن يمنحه فرصة ولا يعتمد على احراجه مباشرة، وهذا الخطاب لا يصدر إلا من يمتلك سلطة الخطاب، ويجاول المخاطب أن يمارسها على المخاطب^(١) وفي ذلك إعادة الاعتبار لصاعد، كونه اعتذر للعاصمي لعدم معرفته بما سُئل عنه من قبل.

فقال صاعد : حفظ الغريب.

قال : فما وزن أولُق؟

في هذا السؤال خرق لمبدأ الجهة الذي ينص على الوضوح في الكلام والابتعاد عن اللبس^(٢) لكون العلامة اللغوية (أولُق) لها صورتان لفظيتان عمادهما المعنى، إذ قيل إنما يكون (أولُق) أفعل فيمن جعله من ولق يلق إذا أسرع فلهزمة فيه زائدة، وأما إذا كان من ألق إذا جنّ، فهو فوعل لا غير، لكون الهزمة من أصل البناء^(٣).

ولعل الذي دفع الزبيدي إلى هذا اللفظ ما فيه من معنى الكذب، فكان قاصداً إلى ذلك، قال الجوهري: ((الولُق: الإسراعُ: عن أبي عمرو، ويقال: جاءت الأبل تلقُ، أي تسرع... والولُق ايضاً: الاسراع في السير والكذب،.. والأولُق : شبه الجنون،...))

١ - ينظر استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية: ٣٧٣

٢ - ينظر التداولية عند علماء العرب: ٣٤.

٣ - لسان العرب: ١٢ / ٢٦٤

وقال: وهو " أفعل" لأنهم قالوا: ألقى الرجلُ فهو مألوقٌ على مفعول، وايضاً: مؤوَلق، مثال معولق، فان جعلته من هذا فهو " فوعل" ^(١)

يمثل خطاب الزيدي حجاجاً على ما سيكون من صاعد بن الحسن "خطاب متخيل" لأن هذا الحرف " أولق" يحتمل معنيين، لذلك راعى الزيدي في خطابه أمرين: الاقتناع والحجج التي يمكن أن يعارضه بها صاعد بن الحسن إذ ((يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه، ويحصها عند استحضار حججه، فيفندها ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه)) ^(٢) وهذا الضرب من الحجاج يعرف بالحجاج التقويي، بوصفه حواراً ضمنياً بين المخاطب وذاتٍ ثانيةٍ قد جردت من نفسه، وغرضه درء الشك المتوقع من المخاطب ^(٣).

فضحك وقال: أمثلي يُسأل عن هذا ؟ إنما يسأل عنه صبيان المكتب.

ذهب صاعد بن الحسن بالخطاب إلى السؤال نفسه بوصفه فعلاً حجاجياً بالقصد المضمّر لكون السؤال في هذه المناظرة ليس استفهاماً عن مجهول، وهذا ما أدركه الزيدي من قبل، وألحنا إليه بأن هذا الحرف مختلفٌ عليه، لذلك جاء خطاب صاعد بن الحسن على وفق الاستراتيجية التضامنية في شقه الأول، والشق الثاني حاول صاعد بن الحسن أن يعرض بالزيدي أن هذا السؤال لا يصدر عن عالم باللغة

١ - تاج اللغة وصحاح العربية: ٤ / ١٥٦٨

٢ - استراتيجيات الخطاب: مقارنته لغوية تداولية: ٤٧٣.

٣ - بنظر المصدر نفسه: ٤٧٣.

وصناعته الأبنية، بل عن صبيان المكتب، وفي ذلك ايضاً ألمح إلى أنّ هذا الحرف مختلفٌ عليه حتى يسأل صبيان المكتب عنه. فقال الزبيدي قد سألتك ولا نشكُّ انك تجهله. هنا عمد الزبيدي في هذا الخطاب إلى الاستراتيجية التضامنية لتعزيز صورته عند الجمهور، لأنّه يعلم سلفاً بجوابٍ صاعدٍ بن الحسن. فتغير لون فقال: وزنه أفعل.

إنّ قول الراوي : ((فتغير لونه)) عبارة جاءت متسقة مع الخطاب الموجه إلى الشيخ المشرقي، بوصفها علامات لغوية تشي بالكذب والوضع الذي سيحدثه صاعد بن الحسن في ظنِّ اصحاب المجلس. فقال: (وزنه أفعل) إذا جاء الجواب على الأكثر دوراناً وشيوعاً في العربية. فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق.

هنا خطاب للأمر المنصور بن محمد يعلمه أنّ صاعد بن الحسن رجل كذاب، يقال: التخريق التمزيق وكثرة الكذب^(١)، والممخرق الكاذب. نوذ أنّ نشير في هذا الموضع من التحليل إلى أنّ قوله " صاحبكم ممخرق " فيه شيء من التحايل على الأمير المنصور بن محمد كون الخطاب موجهاً إليه، لأنّ الزبيدي بحكم

١ - ينظر القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، اعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي،

دار احياء التراث العربي، الطبعة (الثانية) لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ٨١٠.

علمه بالعربية وكفاءته التداولية استطاع توظيف هذه العلامة اللغوية "مخرق" في إثبات الحجة وتمريرها في خطابه.

والخطاب في هذه الحال لم يوجه إلى صاعد بن الحسن، والأخير لم يسمع من الزبيدي ما قاله للأمير "بأنه مخرق"، وأغلب الظن أن صاعد بن الحسن كان مطمئناً إلى قوله بأنه على وزن "أفعل" لذلك جاء خطاب صاعد بعد ذلك على وفق الاستراتيجية التلميحية، لأنه لم يسمع من الشيخ الزبيدي قولاً أو تفصيلاً للمبنى "أولق"، فاستعمل إحدى الأدوات اللغوية التي تعرف بـ "الملمحات"^(١) وهي الفعل "إخال" إذ تستعمل هذه الأدوات في بنية الخطاب المنجز؛ لتكون مؤشراً تلميحياً إلى القصد^(٢)، وأنه لم يعمد إلى تزييف القول احتراماً منه لقاعدة الكيف، والتبليغ بالقدر الكافي من المعلومة، ليتناسب مع قاعدة الكم^(٣).

إخال الشيخ صناعته الأبنية؟

فقال له: أجل.

فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعنى وعلم الموسيقى.

١ - استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية: ٣٩٧.

٢ - ينظر المصدر نفسه: ٣٩٧.

٣ - ينظر قول "جرايس" مفصلاً عن الملمحات وما تقتضيه قواعد مبدأ التعاون عنده، ينظر استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية

تداولية: ٣٩٦. والتداولية عند العرب: ٣٣.

السلم الحجاجي في خطاب الزبيدي وصاعد بن الحسن:

صاعد رجل كذاب	شيخ جاهل بالأبنية الصرفية
صاحبكم ممخرق	اجل.
وزنه " أفعل "	إخال الشيخ صناعته الأبنية؟
لا نشك أنك تجهله.	وزنه " أفعل "
أمثلي يُسأل عن هذا؟	انما يُسأل عنه صبيان المكتب.
ما وزن " أولق " ؟	ما وزن " أولق "؟

إنّ تحليل خطاب المناظرات اللغوية تداولياً يسهم إلى حدّ ما بكشف الحقائق اللغوية التي غابت عن اذهان الرواة وأصحاب التراجم الذين نقلوا تلك المرويّات دون تحقيق وتدقيق في حيثيات الأمور التي كانت تحيط بتلك المناظرات. إذ خلص صاعد بن الحسن إلى الاستراتيجية التضامنية في نهاية المناظرة مع شيء من التعريض بأنه قادر على فكّ المعنى الذي سُئل عنه من قبل إلى جانب معرفته بعلم الموسيقى، وحفظ الأشعار ورواية الأخبار، وبه أُغلقت المبادلة الحوارية بين صاعد بن الحسن والزبيدي.

فهرست المصادر

- آداب الحوار والمناظرة، للدكتور علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة- مصر، الطبعة (الأولى) لسنة ١٩٩٨م.
- أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تح: د. محمد عبد المنعم الحفاجي، دار الجيل، ط(١) لسنة ٢٠٠٤.
- استراتيجيات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، لعبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، الطبعة(الأولى) لسنة ٢٠٠٤م.
- الأعلام لخير الدين الزركلي - دار العلم للملايين الطبعة (١٥) لسنة : ٢٠٠٢م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج (ت٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٢) لسنة ١٤٠٧-١٩٨٧.
- آليات تحليل الخطاب في كتاب سيويوه، أ.د. بشير ابرير، مجلة كلية الآداب واللغات. جامعة باجي مختار، العدد (١٠-١١).
- آليات الحجاج في الخطاب الادبي عند المعتزلة، للدكتور ميلود نزار- الجزائر.
- انباء الرواة على انباه النحاة، لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة، الطبعة(الأولى) لسنة ٢٠٠٥م. ١٦١-

-بدائع الفوائد - ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ - ١٩٩٦م.

-بغية الملمس في تاريخ رجال الاندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (ت ٥٩٩هـ) تحقيق : ابراهيم الأبياري، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة (١) لسنة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

-بغية الوعاء في طبقات اللغويين النحاة، للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت (٩١١هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية- صيدا - بيروت.

- بلاغة الاقناع في المناظرة، للدكتور عبد اللطيف عادل، مشورات ضفاف، بيروت- لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

-تاريخ ابن خلدون أبي زيد ولي الدين عبد الرحمن، اعنتى به أبو صهيب الكرمي، بيت الافكار الدولية.

- تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر اسماعيل بن عماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، القاهرة، الطبعة (الأولى) لسنة١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م.

-التأدبُ مَبْدَأُ خِطَابِيًّا لعبد الستار الجامعي، مجلة الكلمة العدد ١٣٤ يونيو ٢٠١٨ .
تحليل الخطاب ، ل ج يول، ترجمة وتعليق محمد لطفي الزليطني و د. منير التريكي، منشورات جامعة الملك سعود ، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.

- تحليل الخطاب في ضوء المناهج النقدية الحديثة، محمد عزام ، دمشق- ٢٠٠٣ .

- تداولية الخطاب من تأويل المفظوظ الى تأويل الخطاب، آن روبول و جاك موشلار، ترجمة لحسن بو تكلاني، دار كنوز المعرفة الطبعة (الاولى) ٢٠٢٠-١٤٤١هـ.
- تداولية سياق الحال في الفعل الكلامي دراسة تحليلية تطبيقية، د. سامية بن يمامة، دار كنوز المعرفة الطبعة(الاولى) لسنة ٢٠١٩-١٤٤٠هـ.
- التداولية عند علماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة(الأولى) لسنة ٢٠٠٥م.
- تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراف للشيخ ابي علي احمد بن محمد بن مسكويه (ت ٤٢١هـ) الطبعة (الاولى) مطبعة الحسينية المصرية، القاهرة.
- تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد الازهري (٣٧٠هـ)تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ١٩٦٤م
- جنوة المقتبس في تاريخ علماء الاندلس، لأبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي(ت٤٨٨هـ) تحقيق: بشار عواد معروف و محمد بشار معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس- الطبعة(الأولى) لسنة ١٤٢٩هـ_٢٠٠٨م.
- الحاشية على الكشاف للزمخشري، لأبي الحسن السيد الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ)، حققه و وضع هوامشه، وفهارسه: الدكتور رشيد بن عمر أعرضي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة(الأولى) لسنة ٢٠١٥م.
- الحجاج مفهومه ومجالاته ، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة. اشراف د حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب- الاردن

الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر د. محمد سالم محمد الامين
الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، الطبعة (الاولى) ٢٠٠٨م.
الخطاب، لسارة ميلز، ترجمة عبد الوهاب علوب، منشورات المركز القومي للترجمة،
القاهرة، الطبعة (الاولى) ٢٠١٦م.

الخطاب ، بحث في بنيته وعلاقاته عند ميشيل فوكو، دراسة ومعجم، د. الزواوي
بغوره، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة (الاولى) ٢٠١٥م.

الخطاب لهрман، ترجمة محمد اسيداه، مجلة نوافذ العدد (٣٤) ٢٠٠٥م.
خطاب المناظرة في الادب الأندلسي من القرن الرابع إلى نهاية القرن الثامن
الهجري، د. محمد أبجير، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الاردن- عمان،
الطبعة(الأولى) لسنة ١٤٣٦هـ- ٢٠١٦م.

الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، د. احمد
المتوكل، منشورات النار العربية للعلوم ناشرون الطبعة (الاولى) ٢٠١٠-١٤٣٢هـ.
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت ٥٤٢هـ)
تحقيق : د. احسان عباس، دار الثقافة - بيروت- لبنان، الطبعة(الأولى) لسنة
١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده للعالم الجليل عبد القادر البغدادي
صاحب خزائن الأدب المتوفى عام ١٠٩٣ من الهجرة المؤلف: محمد بن الحسن الرضي
الإستراباذي، نجم الدين (المتوفى: ٦٨٦هـ) حققها، وضبط غريبها، وشرح مبهمها،
الأساتذة: محمد نور الحسن - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية محمد الزفاف

المدرس في كلية اللغة العربية محمد محيي الدين عبد الحميد - المدرس في تخصص كلية اللغة العربية الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان عام النشر: ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.

- شرح كتاب سيبويه، لابي سعيد السيرافي الحسن بن عبد الله المرزبان (ت ٣٦٨هـ) تحقيق: احمد حسن مهدي و علي سيد علي، دار الكتب العلمية.

- الصلة في تاريخ أمة الاندلس وعلمائهم ومحدثهم وفقهائهم وأدبائهم، لأبي القاسم بن بشكوال (ت ٥٧٨هـ) حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي- تونس، الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١٠م

- فن المناظرة في الادب العربي دراسة اسلوبية - تداولية، باشا محمد العيادي، دار كنوز المعرفة العلمية، الاردن- عمان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي-الدار البيضاء- المغرب، الطبعة (الثانية) لسنة ٢٠٠٠م.

- في النحو العربي نقد وتوجيه، الدكتور مهدي الخزومي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ١٩٦٤م.

- في اللسانيات التداولية محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، الدكتور خليفة ابو جادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الطبعة (الاولى) ٢٠٠٩م.

- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، اعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، الطبعة (الثانية)

لسنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م

- الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٣.
- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طاه عبد الرحمن، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة (الأولى) ١٩٩٨م.
- مجالس العلماء لابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- المدخل إلى فن المناظرة، للدكتور عبد اللطيف سلامي، مؤسسة قطر للنشر، الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١٤م.
- المذكر والمؤث لابي حاتم بن سهل بن محمد السجستاني ت ٢٥٥هـ، تحقيق د.حاتم صالح الضامن، دار الفكر العربي، دمشق سوريا. الطبعة (الأولى) لسنة ١٩٩٧م-١٤١٨هـ.
- مراتب النحويين، لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (ت ٣٥١هـ) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، مكتبة النهضة، القاهرة.
- المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، للدكتور نعمان ابو قره، منشورات عالم الكتب الحديث، اريد، الطبعة (الأولى) ٢٠٠٩م-١٤٢٩هـ.
- مصطلحات مفاتيح تحليل الخطاب، دومنيك مانغونو، ترجمة: محمد يحيان، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، الطبعة (الأولى) ٢٠٠٨م.

المضمر كاترين كيريرات، ترجمة ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة ١٩٩٨م.

معجم الادباء (ارشاد الأريب لمعرفة الاديب)، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة (الأولى) لسنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

معجم تحليل الخطاب، لباتريك شارودو و دومنيك مغنونو، ترجمة عبد القادر المهري وحماي صمود، منشورات دار سيناترا، تونس ٢٠٠٨م.

معجم العين للخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة (١) ٢٠٠٣م - ١٤٢٤هـ
معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيوتي، مكتبة ناشرون، دار النهار بيروت، الطبعة (١) لسنة ٢٠٠٢م.

معجم مقاييس اللغة، لإبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل، سنة النشر: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

المعنى وظلال المعنى، محمد محمد يونس علي، منشورات دار المدار الاسلامي، بيروت، الطبعة (الأولى) ٢٠٠٧م.

مغني اللبيب عن كتب الأعراب عن كتب الأعراب لابن هشام المصري ت ٧٦١هـ
اخرج آياته وعلق عليه ابو عبدالله علي عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان.

مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب يوسف بن محمد علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ) حقه و
وضع هوامشه وفهارسه: الدكتور عبد الحميد هنداوي،، دار الكتب العلمية، بيروت،
الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١٤م .

المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: عبد الخالق عضية، عالم الكتب،
بيروت.

المناظرات اللغوية والادبية في الحضارة العربية الاسلامية، الدكتور رحيم جبر احمد
الحسناوي، دار اسامة للنشر والتوزيع، عمان - الاردن، الطبعة (الأولى)
لسنة ١٩٩٩م.

المناظرات النحوية والصرفية، نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث
الهجري، لدكتور اسامه رشيد الصفار.

المناظرة في الاندلس، الاشكال والمضامين، د: امنه بن منصور، دار الكتب
العلمية- بيروت لبنان- الطبعة (الأولى) لسنة ٢٠١٢م.

المنهاج في ترتيب الحجاج، لابي الوليد الباجي (ت ٤٧٤هـ) تحقيق عبد المجيد
تركي، منشورات دار العرب الاسلامي.

المؤلف، اندرو بينيت، ترجمة سري خريس، مراجعة احمد خريس، هيئة ابو ظبي
للثقافة والتراث الطبعة (الاولى) ٢٠١١م.

نزهة الابهاء في طبقات الادباء لابي البركات كمال الدين بن عبد الرحمن بن محمد
الاباري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي ، القاهرة، ١٩٩٨م.

النص والخطاب والاتصال، لمحمد العبد، الأكاديمية الحديثة لكتب الجامعة القاهرة
- الطبعة (الأولى) لسنة - ٢٠٠٥ م.

النظرية اللسانية عند رومان جاكوبسن دراسة ونصوص، لفاطمة الطيال بركة
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة (الأولى) بيروت - لبنان
١٩٩٣م.

فتح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، للشيخ احمد بن محمد المقرئ التلمساني
تحقيق: احسان عباس، دار صادر - بيروت.

معجم الهوامع في شرح جمع الجوامع المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين
السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: المكتبة التوفيقية
مصر.

الوصايا الأدبية إلى القرن الرابع هجرياً، مقارنة أسلوية حجاجيه، مؤسسة الانتشار
العربي ، بيروت- لبنان - الطبعة(الأولى) لسنة ٢٠١١م.
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن محمد بن خلكان، تح: احسان عباس،
دار صادر، بيروت.

الفهرس

المقدمة	٤-٣
الفصل الاول : تشكل الخطاب النحوي	٤٥-٥
عناصر الخطاب.....	٤٠-٢٥
المخاطب من الحضور الى الغيبة.....	٢٦
صور المخاطب	٢٨
المتكلم / المرسل.....	٢٨
الجماعة الخطابية.....	٢٩
المخاطب	٣٠
السياق.....	٣٢
الرسالة.....	٣٩
القناة.....	٣٩
النظام والاسلوب.....	٤٠
وظائف الخطاب.....	٤١
الوظيفة الانفعالية.....	٤٢
الوظيفة الافهامية.....	٤٣
الوظيفة المرجعية.....	٤٤

- الوظيفة الانتباهية.....٤٤.....
الوظيفة الما وراء اللغة.....٤٥.....
الفصل الثاني: الخطاب النحوي المكتوب٤٦- ٥٤

- الفصل الثالث: الذات في الخطاب النحوي.....٥٥-٨٢
صور الذات في الخطاب النحوي.....٦٠.....
اولاً: ذات متعددة.....٦٠.....
باعتبار المنطق اللغوي.....٦٠.....
باعتبار المعاينة.....٦٢.....
باعتبار الافتراض.....٦٤.....
ثانياً: ذات منقسمة.....٦٦.....
ثالثاً: ذات مزدوجة٦٧.....
الذات المنتزعة من بنائية المتلقي.....٧٠.....
الذات باعتبار الوظيفة الخطابية.....٧١.....
اولاً: ذات خارجية.....٧١.....
ثانياً: ذات ناطقة.....٧٢.....
ثالثاً: ذات فاعلة٧٣.....
الذات باعتبار الدور الخطابي للمخاطب.....٧٤.....
ذات خارجية.....٧٤.....

- ذات منطوق لها.....٧٤
- عناصر الذات في الخطاب.....٧٥
- اسناد الفعل٧٦
- الاشارات الشخصية.....٧٧
- المقام الزماني والمكاني.....٧٧
- افعال الجهة.....٨١
- الفصل الرابع: التأدب في الخطاب.....٨٣-١٠٤
- قواعد التأدب عند روين لايكوف.....٨٩
- قاعدة التشكك.....٩٤
- قاعدة التودد.....٩٥
- مبدأ التواجه عند براون ولفينسون.....٧٩
- الفصل الخامس: الوقاحة وسوء الادب١٠٥-١٣٢
- الوقاحة في السؤال والاجابة عنه والتفسير له.....١١٨
- الضحك والشغب من صور الوقاحة.....١٢٤
- الوصف بالكذب.....١٢٦
- المبادرة والتخطئة.....١٢٨
- السؤال في غير محله.....١٣٠
- التراشق والسب.....١٣١
- الخطاب النحوي والحجاج.....١٣٣-١٥٩

فهرس المصادر.....١٦٠-١٦٨

فهرس المحتويات.....١٦٩-١٧٢

صدر للمؤلف

- كتاب الاطلس اللغوي في التراث دراسة في كتاب سيويوه مؤسسة السياب للطباعة والنشر ٢٠٠٩
- كتاب مقاربات في فقه اللغة مؤسسة السياب للطباعة ٢٠١٢
- كتاب تعاقب الالفاظ لتصاقب المعاني في ما كني به عن النكاح دار ازمنه ٢٠١٢
- كتاب فقه اللغات العروبية وخصائص العربية دار البصائر ٢٠١٣
- كتاب فلسفة الاقتباس في التطبيقات اللغوية دار المشرق ٢٠٢١
- كتاب فقه الاضداد دار المشرق ٢٠٢١

الدكتور خالد نعيم الشناوي
استاذ فقه اللغة العربية



إنَّ دراسة الخطاب على أساس النمط الخطابي وما يستدعيه من مقارنة تُعنى بدراسته ووصفه في إطار أطروحة الخاص للخاص أو الأطروحة التي عمّمت خصائص خطاب معين على خطابات تتسم بخصائص متباينة، التي تعرف بـ "أطروحة الخاص للعام"، جعلت مما أن نعم النظر والمحت عن نظرية فهم بخصائص الخطاب النحوي وتحليله. وهذا الأمر يتطلب إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وربط الصلة بيه وبين امتداداته اللسانية الحديثة

